الدراسات القرآنية عند المستشرقين

الدكتور عبد الرزاق هرماس

الدِّراساتُ القُرآنيَّة عِنْدَ المُسْتَشْرِقينَ

خِلالَ الرُّبعِ الأوَّلِ مِنَ القرنِ الخامسَ عشرَ للهجرة

د. عبدالرزّاق بن إسماعيل هرماس(*)

مُلخّصُ البحث

عُني هذا البحث بتطور الدراسات المرتبطة بالقرآن الكريم في الغرب خلال فترة زمنية محددة وقريبة منا. ولأجل إعطاء نظرة علمية متأنية عن الموضوع تم تقسيمه إلى خمسة مباحث، الأول منها اهتم بالترويج له منذ عقدين من الزمن بخصوص نهاية الاستشراق، والواقع أن هذا الاستشراق مازال قوياً إلى أيامنا الراهنة بجمعياته ومؤسساته ورجاله، إنما الذي استجدَّ هو تغييره لوسائل عمله رغم تراجع مستواه المعرفي. أما المبحث الثاني فقد اهتم بمجالات التأليف في الدراسات القرآنية. وقد خلصت الدراسة إلى أن المستشرقين لا زالوا مستمرين في الاهتمامات نفسها تأليفاً وتحقيقاً وترجمة. أما المبحث الثالث فهو الذي يشهد بقوة الاستشراق المعاصر بعد أن أصبحت وسائل عمله تشمل عقد الاتفاقيات الدولية في مجال التعاون، وقد هيأت له تنظيمَ مؤتمراته وندواته في أية بقعة من العالم. أما المبحث الرابع فقد خصص لإبراز مكانة الاستشراق الألماني في مجال ريادة المستشرقين المشتغلين بالدراسات القرآنية. وكان المبحث الخامس تعريفاً بأشهر رجالات الحركة الاستشراقية الراهنة، وقد قدَّم البحث أربعة نماذج من أربع جنسيات غربية، وإن كان بالإمكان العثور على أكثر من هذا العدد بين المستشرقين الفرنسيين أو الألمان المشتغلين بمجال هذه الدراسة.

(*) كلية الآداب جامعة ابن زهر – المغرب.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان العرب، وشاءت حكمته أن يحمله الفاتحون المسلمون إلى سائر الأمم، وقد اتجه كثير منهم - بعد التصديق برسالة الإسلام - لخدمة هذا الكتاب، فتعلموا العربية، وجمعوا غريبها، ووضعوا قواعد إعرابها وتصريفها وفنون بلاغتها، ثم توجَّهوا لخدمة القرآن وخدمة تفسيره، وأنتجت هذه الحركة العلمية ما لا يحصى من مصنفات الدراسات القرآنية على امتداد القرون الأولى من تاريخ الأمة.

وعندما وصل النص القرآني إلى الغرب، اشتغل بدراسته آخرون، لكنهم نظروا في آياته نظرة لا تخلو من تعصب لدين الآباء والأجداد، واتجهوا للتأليف في موضوعه منتصرين لعقائدهم ومذاهبهم، وأنتجوا في ذلك ما يستعصي على الحصر.

ولأن كتابات الغربيين عن القرآن توسعت كثيراً طوال عقود وأجيال مديدة، اتجهتُ في هذا البحث لحصر مجال الدراسة في الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري للأسباب التالية:

١) حتى أتمكن من ضبط المادة التي أشتغل عليها.

٢) لأنني بعد تتبُّع طويل لم أعثر على أحد اهتم بهذه المدة المقررة.

٣) حتى أتخلص من أَسْر التقادم الذي طبع الكثير من الكتابات العربية المهتمة بتراث المستشرقين القدامى.

أما الغاية التي أصبو إليها من خلال الكتابة في هذا الموضوع فتتمثل فيما يلي:

أولاً: رصد تطور الدراسات القرآنية بالغرب خلال الحقبة التي نعيشها.

ثانياً: إبراز طبيعة الحركة الاستشراقية في زمننا، وأنها أيضاً تطورت كما تغيرت وسائلها وأهدافها.

ثالثاً: أرجو أن تقدم هذه الدراسة صورة حقيقية لجهود المستشرقين في الدراسات القرآنية خلال العقود الثلاثة الماضية.

أما **خطة البحث** التي سرت عليها، فبعد جمع المادة من مختلف المظانِّ انتهيت إلى تحرير الموضوع وَفْق المخطط التالي:

- **توطئة**.
- **المبحث الأول**: واقع الحركة الاستشراقية مطلع القرن الخامس عشر. وفيه ثلاثة مطالب:

  المطلب الأول: إلغاء المؤتمر الدولي للاستشراق.

  المطلب الثاني: اتجاهات الحركة الاستشراقية مطلع هذا القرن.

  المطلب الثالث: تراجع المستوى المعرفي لدى المستشرقين خلال هذه الفترة.

- **المبحث الثاني**: التأليف في الدراسات القرآنية عند المستشرقين مطلع هذا القرن. وفيه أربعة مطالب:

  المطلب الأول: ترجمة معاني القرآن.

  المطلب الثاني: تحرير مواد دائرة المعارف.

  المطلب الثالث: إعداد الدراسات والتقارير.

  المطلب الرابع: التحقيق والفهرسة.

- **المبحث الثالث**: وسائل عمل المستشرقين. وفيه خمسة مطالب:

  المطلب الأول: عقد اتفاقيات تعاون وشراكة.

  المطلب الثاني: تنظيم المؤتمرات والندوات.

  المطلب الثالث: إصدار المجلات والدوريات.

  المطلب الرابع: إعداد الموسوعات والإصدارات المتسلسلة.

  المطلب الخامس: إلقاء المحاضرات ونشر الكتب والتعريف بها.

- **المبحث الرابع**: تضاؤل الدراسات الاستشراقية المهتمة بالقرآن خلال هذه الفترة. وفيه ثلاثة مطالب:

  المطلب الأول: انحسار أقسام الدراسات الشرقية.

  المطلب الثاني: غلبة الدراسات التاريخية والاجتماعية.

  المطلب الثالث: انفراد المدرسة الاستشراقية الألمانية.

- **المبحث الخامس**: أشهر المستشرقين المهتمين بالدراسات القرآنية خلال الربع الأول من القرن الخامس عشر. وفيه أربعة مطالب:

  المطلب الأول: أجليكا نوريث.

  المطلب الثاني: كلود جليو.

  المطلب الثالث: أندريه ريبان.

  المطلب الرابع: سيرجيو نوصيدا.

- **خاتمة الدراسة.**

هذا وقد حرصت على تعقب كل ما وصلتُ إليه من الكتابات الاستشراقية المرتبطة بهذه الفترة ورصدها، وأود أن أؤكد في هذه المقدمة أمرين اثنين:

١) أن المادة التي دارت عليها الدراسة هي الكتابات الاستشراقية المنشورة عن القرآن منذ مطلع القرن الهجري الحالي إلى حدود عام (١٤٢٥هـ)، أي أوائل سنة (٢٠٠٤م).

٢) إن أكثر هذه المادة محرر باللغة الفرنسية، وقسم منها مكتوب بالإنجليزية أو الألمانية، وترجم إلى الفرنسية كذلك.

وأخيراً أسأل الله التوفيق والسداد والعون، وأن يرشدني والمسلمين إلى ما فيه طاعته واتِّباع رسوله ﷺ.

المبحث الأول

واقع الحركة الاستشراقية مطلع القرن الخامس عشر للهجرة

طرأت خلال الربع الأول من القرن الهجري الحالي ثلاثة مستجدات أثرت في الحركة الاستشراقية خلال هذه الفترة:

- فهنالك أولاً وفاة عدد من كبار المستشرقين ممن ارتبطت أسماؤهم بعدد من المشروعات الكبرى في مجال التأليف(١).
- ثم خلال الفترة نفسها ظهر الكثير من الكتب والدراسات التي اهتمت بنقد التراث الاستشراقي سواء باللغة العربية أو باللغات الأوربية.
- وأخيراً هنالك تقلُّص دعم الدول الغربية الموجه للإنفاق على المؤسسات الاستشراقية التقليدية؛ بسبب تغيُّر حاجات السياسة الخارجية لهذه الدول(٢).

ورغم أن المستشرقين احتفلوا بمطلع القرن الهجري الجديد بطريقتهم الخاصة(٣)، إلا أن السنوات المتتالية الأخيرة أظهرت بجلاء أن الاستشراق بمعناه التقليدي بدأ يستجيب لضرورات التغيير التي فرضتها عليه السياسة، وظهر ذلك من خلال:

---

(١) من هذه المشروعات الكبرى التي تعرضت لصعوبات وتعثر: الإصدار الثاني لدائرة المعارف الإسلامية الذي لم يكتمل إنجازه حتى اليوم.

(٢) من مظاهر ذلك مثلًا الضغط على اليونسكو في أواخر القرن الهجري الماضي؛ لإيقاف دعم مشروع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، فقد ذكر بروخمان في المقدمة الفرنسية للجزء الأخير من المعجم الصادر (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) أنهم بسبب وقف دعم هذه المنظمة الدولية، نقلوا الطبع من هولندا إلى الهند، وصدر المجلد الأخير من «الدار القيمة» هنالك، بعد عجز مكتبة بريل بليدن عن الطبع في المؤسسة الهولندية «*Netherlands*».

(٣) من ذلك مثلًا الندوة الدولية التي أقيمت بستراسبورج في أكتوبر (١٩٨٠م) احتفالًا بالقرن الهجري الخامس عشر، وكان موضوعها «*la vie du prophète Mohamet*» وجاءت جميع عروضها طعناً في رسول الإسلام ﷺ، وطُبعت هذه الندوة ضمن سلسلة الإصدارات الجامعية الفرنسية «*P.U.F*» في باريس عام (١٩٨٣م).

١) توقيف «الاتحاد الأكاديمي الدولي» في صيف (١٩٧٣م) لتنظيم المؤتمرات التي دأب على الدعوة إليها منذ أكثر من مائة سنة.

٢) تفرق وحدة المستشرقين، وانتظامهم في جمعيات متخصصة وهيئات أكاديمية مختلفة.

٣) ازدياد الضعف المعرفي في مجال التخصص، والميل إلى الدراسات الاجتماعية والتاريخية. وفي المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

إلغاء المؤتمر الدولي للاستشراق

توسعت الدراسات الاستشراقية آخر القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري)، وهذا التوسع هو الذي دفع إلى تأسيس منظمة «الاتحاد الأكاديمي الدولي» أو «الاتحاد الأممي للمجامع العلمية»(١)، الذي تبنى الدعوة لرعاية المؤتمرات الدولية للاستشراق، ونُظِّم أولها في باريس خلال شهر يوليو (١٨٧٣م)(٢).

وبعد تنظيم تسعة وعشرين مؤتمراً خلال قرن من الزمن، ستكون باريس التي احتضنت ميلاد هذه المؤتمرات قبراً لمؤتمرات هذا الاتحاد الدولي، فخلال مؤتمر المستشرقين الذي افتتح بهذه العاصمة بتاريخ (١٤ يوليو ١٩٧٣م) الموافق (١٣٩٣هـ) دعا عدد من كبار المشاركين من أمثال برنارد لويس *"Bernard Lewis"*

---

(١) استعمل المصطلح الأول في فرنسا والثاني في هولندا، وكلاهما ترجمة للاسم الفرنسي «*L'union Académique internationale*».

(٢) انظر: د. المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ص١٩٦، د. مطبقاني، المؤتمرات الاستشراقية الحديثة، ضمن مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت عدد ٤٦، د. ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، الملحق الخاص بمؤتمرات المستشرقين الدولية.

وبَشَم "*Basham*" وكلود كاهن "*Claud Cahen*" إلى حل مؤتمر المستشرقين ويُسْتبدل به مؤتمرات خاصة، أطلق على المتعلق منها بالدراسات الإسلامية «مؤتمر العلوم الإنسانية للشرق الأدنى وشمال إفريقيا»⁽¹⁾. ومع مستهل القرن الخامس عشر الهجري لم يعد للمستشرقين مؤتمر واحد يجمعهم، بل حتى الإطار الوليد الذي ابتدعوه «مؤتمر العلوم الإنسانية» اختلف أنصاره في تسميته قبل أن يتوافقوا - لأجل رفع الالتباس والغموض - على اسم «المؤتمر الدولي للدراسات الآسيوية وشمال إفريقيا»، لكن هذا المؤتمر الذي لازال يُعقد حتى الآن لم تكن له أبداً أهمية سابقه⁽²⁾.

أما المستشرقون الساخطون على إلغاء مؤتمرهم الدولي، فأكثرهم من ألمانيا، وقد اتجهوا إلى تنظيم مؤتمرات خاصة بهم وانضم إليهم خلال العقود الثلاثة الأخيرة عدد من نظرائهم ولاسيما من فرنسا، وظلوا حتى الآن محافظين على نفس الاهتمامات القديمة التي تدور حول أغراض أربعة:

- جمع المخطوطات العربية والنصوص القديمة ونشرها وفهرستها.
- التدريس الجامعي.
- إنشاء المعاهد والمراكز العلمية.
- تنظيم ملتقيات أكاديمية⁽³⁾.

---

(1) انظر: عبد الرحمن بدوي، سيرة حياتي ج٢ ص٢٥٥، ٢٥٦، وقد كان المؤلف من أبرز العرب الذين دعوا إلى هذا المؤتمر الأخير.

(2) لأجل المقارنة أشير أن المؤتمرات السابقة كان يدعى إليها من العالم الإسلامي مشاهير الباحثين، ففي مؤتمر (١٩٧٣م) دعي: شكري فيصل، وعبد الرحمن بدوي، وإبراهيم مدكور، ومحمد الطالبي، أما المؤتمرات في صيغتها الجديدة فأصبح يدعى إليها الوجهاء والسياسيون بالعالم الإسلامي.

(3) انظر المبحث الخاص بالاستشراق الألماني ضمن كتاب ميشال جحا السابق.

وعوضاً من عقد مؤتمر دولي كل ثلاث أو خمس سنوات لجمع مئات الغربيين المهتمين بالدراسات الشرقية، أصبحت تعقد مؤتمرات متعددة ومتنوعة تنظمها مختلف الجمعيات التي أسسها من يصطلح عليهم بـ «المستعربين» *"Arabisants"* أو المختصين في الإسلاميات *"Islamologues"*، هؤلاء الذين اتجهوا خلال العقدين الأخيرين إلى تنظيم أنشطتهم بواسطة اتفاقيات وطنية أو دولية تسمح لهم بالحصول على الدعم المخصص لمراكز البحوث.

وبعد أن حلَّت هذه الجمعيات مكان «الاتحاد الأممي للمجامع العلمية» تراجع دور هذا الاتحاد ومكانته حتى أصبح اليوم بالنسبة لعدد من المستشرقين ولتلامذتهم من العالم الإسلامي مجرد وسيلة يتم الحصول بواسطتها على الدعم المادي، وبخاصة من قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية بمنظمة اليونسكو.

المطلب الثاني

اتجاهات الحركة الاستشراقية مطلع القرن الخامس عشر

إن المتأمل في تطور الاستشراق خلال العقود الأخيرة يلاحظ أن المستشرقين تتوزعهم ثلاثة اتجاهات رئيسة:

الاتجاه الأول: الاستشراق الكلاسيكي أو التقليدي، وهو الذي لازال وفياً بإرث الماضي، ويجمع عدداً من المشتغلين بالتأليف والتحقيق والدراسات الطويلة في التراث الإسلامي؛ وهؤلاء يرفضون اليوم نسبتهم إلى الاستشراق، ويُطلقون على أنفسهم مصطلحاً حديثاً هو «المستعربون»(١).

---

(١) في محاضرة لأندريه ريمون – من مركز الأبحاث والدراسات حول مجتمعات البحر الأبيض المتوسط بمرسيليا – ألقاها في مارس (١٩٨٦م) بمؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء، حول موضوع «ربع قرن من الأبحاث الغربية عن تاريخ العالم العربي»، قال: «... ففي الاستشراق التقليدي تشكل =

الاتجاه الثاني: الاستشراق الجديد، وبرز مع عدد من المتخصصين في التاريخ الإسلامي ممن تأثروا بمناهج البحث في العلوم الإنسانية بالغرب، فحملوا لواء الدعوة إلى تطبيق مناهج هذه العلوم ليس في الدراسات التاريخية والاجتماعية المهتمة بالعالم الإسلامي، بل أيضاً في مجال دراسة القرآن والسنة والتشريع، ويظهر أن خَلْف هذه الدعوة عَجْزَ المستشرقين عن فهم مناهج البحث في مجال الدراسات القرآنية والحديثية ومجال أصول الفقه، فأرادوا إثارة مثل هذه الدعاوى التي أعلن عنها منذ قرابة ثلاثة عقود، وتوفي كثير من دُعاتها، دون أن تعرف أصولها النظرية ولا جزئياتها وتفاصيلها(١).

الاتجاه الثالث: الاستشراق الصحافي، والمراد به ظاهرة تضخمت بالتدريج خلال العقود الثلاثة الماضية، فبحكم الانتشار الواسع لوسائل الإعلام والاتصال التي تبحث عن الشهرة والإثارة، صارت أخبار العالم الإسلامي - ولو كانت عديمة الفائدة للمواطن الغربي - مادة تستهلكها الصحافة، فيتم استدعاء بعض أدعياء المعرفة بشؤون الإسلام إلى مختلف البرامج، ووصل الأمر أن وجدنا كبريات الصحف المكتوبة بالغرب توظف مختصين لتحرير ملفات تنشر عن الإسلام والمسلمين قديماً وحديثاً خارج حدود خريطة الدول الغربية وداخلها.

= الدراسات الشرقية كلاً يقوم فيه الإسلام بدور نقطة الإحالة المشتركة، أي: إن الإسلام مأخوذ لا بوصفه ديناً فقط، بل بوصفه واقعاً شاملاً بما فيه مجموع التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي للبلدان الإسلامية». وانظر: تجديد الدراسات حول الإسلام والعالم العربي ص١٤.

(١) في محاضرة أخرى ألقاها روبير منتران - المتخصص في التاريخ العثماني - عند زيارته لعدد من الجامعات العراقية، نشرت ببغداد (١٩٨٧م) حول موضوع «الاستشراق الفرنسي: أصوله وتطوره وآفاقه» قال: «... لا مناص لنا هنا من التأكيد على وجوب استخدام مواد وأساليب متعددة هي جديدة بالنسبة لعالم الاستشراق بحصر المعنى، تقدمها لنا مستساغة علوم الاجتماع والأجناس والسكان والشعوب واللغة، والعلوم السياسية والاقتصادية والإعلامية وغيرها، وما تزال العلاقة بين هذه العلوم والدراسات الاستشراقية نادرة». وانظر: سلسلة الثقافة المقارنة (الاستشراق) العدد٢ ص٣٦.

ونتج عن تفرق المستشرقين إلى هذه الاتجاهات الثلاثة أننا نجد أصحاب الاتجاه الأول عاكفين على مشروعاتهم الدراسية بعد أن تحلقوا حول مراكز متخصصة، في حين دأب المتأثرون بمناهج العلوم الإنسانية على توجيه سهام النقد لأولئك الذين يرونهم يعيشون في الماضي أوفياء لتراث القرن التاسع عشر الميلادي، أما ما يصطلح عليه بالاستشراق الصحافي، فلا زال غير معترَف به، ولا يعدو بالنسبة لكثير من المستشرقين «علامة تجارية» معروضة للبيع⁽¹⁾. لكن يبقى هؤلاء جميعاً أوفياء بخدمة أهداف ثابتة لا تختلف في الجوهر، وإن اختلفت في المنهج والرؤى⁽²⁾.

المطلب الثالث

تراجع المستوى المعرفي لدى المستشرقين خلال هذه الفترة

توفي خلال القرن الرابع عشر الهجري مشاهير المستشرقين المهتمين بالتراث الإسلامي، فخَلَفَ من بعدهم لفيف دخلوا عالم الاستشراق من باب العمل في الإدارات الاستعمارية بشتى الدول الإسلامية، فنجد هؤلاء يستهلُّون حياتهم المهنية

---

(١) في ندوة نظمتها مؤسسة الملك فيصل بباريس خلال يناير (١٩٩٤م) حول موضوع «الدراسات العربية والإسلامية الواقع والتطلعات» استضافت فيها أربعة من الأكاديميين الفرنسيين ونُشرت وقائعها ضمن مجلة الفيصل العدد (٢١٤) نجد ضيوف الندوة من المستشرقين يحملون على ظاهرة الاستشراق الصحفي؛ لأن وسائل الإعلام في بحثها عن الإثارة. «تقوم بإبراز أشخاص تتسم أبحاثهم بالطابع التجاري المتحرر من الجدية والصرامة العلمية والمنهجية، ويميل إلى السطحية والغلو في الأحكام، في الوقت الذي تتجاهل فيه تلك الوسائل الأبحاث الجادة والموضوعية التي تستغرق من باحثيها سنوات طويلة من الدراسة والتنقيب»، وانظر كلام ج. ب. شارنيه – من جامعة باريس الرابعة سابقاً – ضمن: الفيصل العدد (٢١٤)، أكتوبر (١٩٩٤م)، ص١٣.

(٢) انظر د. مازن مطبقاني، هل انتهى الاستشراق حقاً؟ مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بالكويت، ع٤٣ ص ٢١٨ – ٣٢٣.

في الجيش أو في أجهزة الاستخبارات عن طريق شَغل وظيفة «مراقب مدني»(١)، وفي حقبة ضعف الاستعمار وزواله - فيما بعد - تقدَّمَ عدد منهم لتحصيل شهادات جامعية عليا ليلتحقوا بحركة الاستشراق.

أما الحصيلة المعرفية التي استحقوا بها هذه الشهادات فلا تعدو في كثير من الأحيان ما جمعوه بالتتبع لأحوال المجتمعات الإسلامية التي عملوا فيها، لذلك كثر استعمال «عالم اجتماع» و«باحث في الاجتماع» بين متأخري المستشرقين.

ولأن كثيراً منهم خَلَوا من كل معرفة بالتراث الإسلامي حتى الذي أنتجه المختصون الغربيون، ولجهلهم بمناهج البحث والدراسة في العلوم الإسلامية فقد اتجهوا في آخر أيامهم لانتحال مناهج العلوم الإنسانية بالغرب، دون أن يحظوا باعتراف المختصين فيها أيضاً.

وأنتجت هذه الظاهرة «أشخاصاً» لم يكونوا مؤهلين للعمل ضمن أقسام العلوم الإنسانية بالغرب لعدم إلمامهم بهذه المعارف، كما أنهم لم يكونوا قادرين على اختراق المؤسسات الاستشراقية العريقة؛ لأن تكوينهم كان يهدف إلى إعداد تَراجِمَة تستعين بهم الإدارة الاستعمارية.

وتَطَلَّبَ الأمر سنوات حتى تقاعد كبار المستشرقين أو تُوُفُّوا، واحتيج لمن يخلفهم في زمن عزوف كثير من الغربيين عن الدراسات الشرقية، فكانت فرصة هذا اللفيف للارتقاء إلى كراسي الأستاذية.

وقد ظهر أثر هذه الظاهرة الاستشراقية خلال العقود الثلاثة الأخيرة في مجالين اثنين:

---

(١) للتفصيل يرجع إلى د. المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ص ١٩٢ - ١٩٦.

- مجال التأليف والتحقيق والنشر(١).

- مجال التأطير العلمي داخل الأقسام الجامعية التي أشرف عليها هؤلاء(٢).

على أن الإنصاف يقتضي الإشارة إلى أن غلبة هذا اللفيف الاستشراقي الهجين طوال الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري لم يمنع من بروز وتميز بعض الغربيين المهتمين بالدراسات الشرقية الذين أنفقوا أموالهم وجهودهم وأعمارهم لدراسة وخدمة التراث الإسلامي، ومنهم على سبيل المثال الألماني ميكلوش موراني الذي سيأتي الحديث عنه، لكن هؤلاء الأخيرين يبقون معدودين على رؤوس الأصابع.

---

(١) يمكن على سبيل المثال المقارنة بين المواد المحررة لدائرة المعارف الإسلامية خلال السنوات الفارطة من القرن الخامس عشر الهجري، وبين ما حرر لنفس الموسوعة سابقاً.

(٢) كان د. عبد الرحمن بدوي قد استقر في باريس قبيل بداية العقد الأخير من القرن الرابع عشر، ومن الأشياء الذي ظل يتتبعها هناك نشاط المستشرقين في تأطير ومناقشة الرسائل الجامعية، وقد قدَّم لذلك صورة قاتمة في «سيرة حياتي» ج١ ص٢٠٢ وما بعدها، ج٢ ص١٤ وما بعدها، ومما قاله عن هذا التأطير: «... لكن مستوى المناقشة لم يكن رفيعاً في كثير من الأحيان، وظل ينحط شيئاً فشيئاً حتى بلغ الدرك الأسفل في الثماني عشرة سنة الأخيرة (١٩٦٧ - ١٩٨٥)، وتظهر هذه البلية أكثر ما تظهر في الرسائل المندرجة في ميدان الدراسات الإسلامية والعربية، إذ يقل جدّاً عدد المختصين، ولا يتورع الباقون عن الإشراف على رسائل لم يسمعوا بها من قبل، وبلغ بعضهم ذروة الحماقة، فراح يتباهى بأنه يشرف على خمسين رسالة في آن واحد، كأنه الإله العليم بكل شيء، بينما هو في الواقع الجهل متجسداً والغباء يسير على قدمين».

المبحث الثاني

التأليف في الدراسات القرآنية عند المستشرقين مطلع القرن الخامس عشر

إن المتأمل فيما نشره المستشرقون عن القرآن منذ مطلع القرن الهجري الحالي يجد أن هذه الإصدارات تتوزعها مجالات أربعة رئيسة هي:

- ترجمة القرآن.
- تحرير مواد دائرة المعارف.
- كتابة الدراسات والتقارير.
- التحقيق والفهرسة.

وقبل الكلام على هذه المجالات من خلال نماذج منتقاة، أجد من الأنسب الوقوف عند كتاب نشره المستشرق الفرنسي جاك بيرك(١) عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، أي بعد ثلاث سنوات من إحالته على التقاعد، وعرض فيه للخطوط العريضة لما ينبغي أن يكون عليه المنهج في الدراسات الإسلامية(٢).

---

(١) جاك بيرك ولد بالجزائر ١٩١٠م، وكان أبوه يعمل مع الإدارة الفرنسية، وبعد فترة دراسته الأولى التحق بوظيفته «مراقب مدني» بمدينتي الصَّوِيرة، ثم إميتانوت بالمغرب من ١٩٣٤ إلى ١٩٥٣م، انتقل بعد ذلك إلى مصر ومنها عاد إلى باريس، وقد أسند إليه في الفترة الأخيرة من حياته العملية كرسي علم الاجتماع الإسلامي بمعهد فرنسا إلى تقاعده عام ١٩٨١م، كما كان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة بتوصية من طه حسين، وتوفي بسان جوليان جنوب فرنسا في ٢٧ يونيو ١٩٩٥م، تآليفه المتصلة بالدراسات القرآنية هي:

- *Le coran: essai de traduction, Paris, 1991.*

- *Relire le coran, Bibliothèque Albin Michel, Paris, 1993.*

والكتاب الأخير عبارة عن مقدمة وضعت للكتاب الأول، ثم اسْتلت منه ونشرت مفردة.

(٢) انظر: *Jacques Berque, L'islam au temps du monde, édition Sindibad, Paris 1984*

ففي هذا الكتاب تكلم بيرك على ما عدَّه «عزلة الدراسات الإسلامية» وعن آفاق الخروج منها من خلال ثلاث خطوات حددها في الكتاب هي:

١) إخراج الدراسات الإسلامية من العزلة المكانية، فلا ينبغي أن تبقى منحصرة في التراث العربي بمنطقة الشرق الأوسط، بل يجب أن تشمل الشرق الأقصى والهند وغيرها من البلاد الإسلامية(١).

٢) إخراجها من العزلة الزمنية، إذ يرى بيرك أن البحث يجب أن ينطلق من النص القرآني لينتقل إلى آثار هذا النص وصداه في المجتمعات الإسلامية المعاصرة(٢).

٣) إخراجها من عزلة المنهج، وهذا هو لُباب الكتاب، ويقتضي ذلك تطبيق المناهج الغربية الحديثة على الدراسات الإسلامية بإطلاق(٣).

وفي هذا المبحث أربعة مطالب:

المطلب الأول

ترجمة معاني القرآن

حرص المستشرقون على أن يتضمن الإصدار الثاني لدائرة المعارف الإسلامية كل شيء يتعلق بدين الإسلام أو بالمسلمين أو بالبلدان الإسلامية، لذلك

---

(١) ولذلك حرص بيرك في هذا الكتاب على تقديم ثلاث مقالات عن ثلاث شخصيات تنتمي إلى أقطار إسلامية مختلفة: شاه ولي الله الدهلوي من الهند، وطه حسين من مصر، وعلي شريعتي من إيران، ولا يدري القارئ ما الذي يجمع بين هؤلاء؟!

(٢) الغرض من ذلك تفسير القرآن انطلاقاً من سلوكيات وحياة المسلمين، أي الالتواء عليه بغرض إسقاط أحكامه، طالما أن حياة المجتمع الإسلامي بعيدة عن هديه، ولهذا يطالب بيرك «بإعادة قراءة القرآن».

(٣) لأنه غير مختص في هذه المناهج، فلا ندري الهدف من هذه الدعوى العريضة سوى أنها ترمي إلى إقصاء مناهج الدراسات الإسلامية الصحيحة، ويُستبدل بها المناهج الغربية حتى تذوب مصادر المعرفة الإسلامية في بوتقة التغريب، ولأجل هذه الغاية ألَّف بيرك الكتاب أصلاً؛ ليكون دعوة إلى إلغاء كل خصوصية أو تميز للثقافة الإسلامية.

كانوا يضيفون مواد جديدة إلى المجلدات في كل طبعة، حتى تكون هذه الدائرة مستوعبة. وبالنسبة للمجلد الخامس منها الذي تضمن مادة *"AL KURAN"* فقد نُشِر ضمن هذه المادة – ابتداء من الطبعة الثالثة عام (١٩٨١م – ١٤٠١هـ)(١)، ذيلٌ أفرده المستشرقون لموضوع «ترجمة القرآن» تضمن مباحث مسهبة حررها المستشرق الألماني رودي باريت (ت ١٩٨٣م) *"R.PARET"* وعرض فيها لكلام القدامى والمعاصرين في جواز الترجمة، كما تحدث عن الترجمة التفسيرية للقرآن، وقدم سرداً طويلاً لترجمات القرآن بشتى لغات العالم ولهجاته في بحث دقيق جدّاً(٢).

وبتتبع مختلف الترجمات الأوربية التي ظهرت خلال الربع الأول من القرن الخامس عشر نجد ترجمة بيرك – المشار إليها سالفاً – أشهرها بخاصة أنها حظيت باهتمام إعلامي من قِبل الصحافة في الغرب وفي العالم العربي حتى بعد وفاة صاحبها(٣).

صدرت هذه الترجمة عام (١٩٩٠م – ١٤١١هـ) تحت عنوان «القرآن: محاولة ترجمة من العربية مع تقديم ودراسة عن التفسير» في ثمانمائة وثلاثين صفحة، وأعيد طبعها بعد أربع سنوات، وهذه الترجمة تقع في قسمين: الأول هو ما سمي «محاولة ترجمة القرآن» والباقي عبارة عن مقدمة في اثنتين وثمانين صفحة.

---

(١) انظر: *Encyclopédie de l'Islam, Tome 5, P1.*

(٢) انظر: *Encyclopédie de l'Islam, Tome 5, PP431 – 434.*

(٣) تم الاحتفال بالترجمة في معهد العالم العربي بباريس وأثنى عليها مديره السابق محمد بنونة، كما احتفلت بها إذاعة مونت كارلو خلال شهر مارس ١٩٩٤م، هذا دون الحاجة إلى تتبع احتفال عدد من المجلات والصحف في مصر والكويت والمغرب العربي بهذه الترجمة طوال سنوات بعد نشرها. وانظر:

Le coran: Essai de traduction de l'arabe, annoté et suivie d'une étude exégétique, Paris, Sindibad, 1990.

وإذا أخذنا القسم الأول «المقدمة» وهو بعنوان *"Relire le coran"* أي إعادة تفسير القرآن، فهو عبارة عن أربع محاضرات وخاتمة ألقاها جاك بيرك متفرقة بمعهد العالم العربي قبل جمعها وطبعها ضمن الكتاب⁽١⁾، وعناوين هذه المحاضرات كالتالي:

١) «مداخل إلى بنية القرآن»: تكلم في هذه المحاضرة على شاعرية القرآن ونزوله وتقسيمه إلى سور.

٢) «الزمان في القرآن» خصصت المحاضرة للنفخ في موضوع النسخ، وادعى بيرك نَسْخَ أكثر من نصف السور أيام النبوة.

٣) «معيارية القرآن» حرص في هذه المحاضرة على إنكار وجود التشريع في القرآن.

٤) «القرآن واللغة العربية» خصصت هذه المحاضرة للكلام على «إضفاء العقيدة الإسلامية طابع الإعجاز على أسلوب القرآن».

أما القسم الثاني وهو «محاولة ترجمة القرآن» فحافِلٌ بالأخطاء الشنيعة، وسوء الأدب مع الله تعالى⁽٢⁾، وقد قامت الأستاذة الفاضلة د. زينب عبد العزيز من قسم

---

(١) حين استلَّ هذه المقدمة ونشرها مستقلة عام ١٩٩٣م طُبع على غلافها الخارجي الأخير أنها محاضرات لشرح الكتاب المؤسس للإسلام.

(٢) من ذلك ترجمة ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨] بقوله:

«Une teinture de Dieu! mais qui peut mieux teindre que Dieu»

والصبغة في الآية تعني الفطرة ولا تعني الصباغة أو تبديل اللون.
وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] قال مترجماً:

«çafa et Marwa fait partie des repérage de Dieu»

والشعائر في الآية ما جعل علماً لطاعة الله، والمراد أنها ليست من عبادات الجاهلية كما دل عليه سبب النزول، ولا تعني أنها علامات أرضية «*repérage*». =

اللغة الفرنسية بكلية الآداب، جامعة المنوفية بتأليف كتاب حول هذا الموضوع عنوانه «ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك»(١).

المطلب الثاني

تحرير مواد دائرة المعارف

أكثر المواد المحررة عن القرآن في مختلف الموسوعات العالمية كتبها المستشرقون، ومما يرتبط بالقرن الخامس عشر الهجري من ذلك:

- مادة "*AL KURAN*" التي حررها "*A. T. Welch*" وطبعت عام ١٩٨١م - ١٤٠١هـ ضمن المجلد الخامس من دائرة المعارف(٢).
- مادة "*Coran*" في دائرة المعارف الكونية التي صدرت نشرتها باللغة الفرنسية عام ١٩٩٠م - ١٤١٠هـ(٣).

فبالنسبة للمادة الأولى التي حررها المستشرق الأنجلوفوني ويلتش، فهي من أوسع ما كتب عن القرآن في اللغات الأوروبية، وقد قسمها إلى سبعة مباحث عن:

- مصدر القرآن ومصطلحه.
- تلقي محمد ﷺ للوحي.

= وفي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء: ١]، ترجم الأرحام بـ «*les matrices*» أي أرحام النساء، وهي في الآية صلة القرابة.

(١) مواكبة للاحتفال بكتاب جاك بيرك أصدرت د. زينب عبد العزيز طبعتين لكتابها: الأولى في يناير ١٩٩٤، والثانية في مايو من نفس السنة، وقد أفادني هذا الكتاب كثيراً في هذا المطلب.

(٢) انظر: *Encyclopédie de l'Islam, Tome 5, PP: 401 – 431*

(٣) انظر: *Encyclopaedia Universalis, corpus 6, PP: 540 – 548*

هذا بالإضافة إلى مادة (تفسير) في دائرة معارف الأديان، الصادرة عن منشورات «*Rippin*» بلندن عام ١٩٨٥م المجلد ١٤ بالإنجليزية.

- تاريخ القرآن بعد عصر النبوة.
- تقسيم القرآن «بنيته».
- ترتيب نزوله.
- أسلوبه وموضوعاته.
- أثره في حياة المسلمين وفكرهم.

ورغم أن محرر المادة أحال على الكثير من مصادر المكتبة الإسلامية، إلا أنه كان عالة في الكثير من استنتاجاته على التراث الاستشراقي بشبهه وافتراءاته(١). ونظراً للمكانة التي اكتسبتها هذه المادة الموسعة عن القرآن لدى المهتمين بالغرب، فقد عمدت المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٤١٥هـ إلى إصدار كتيب بالفرنسية عنوانه: «القرآن: دراسة لتصحيح المعلومات الخاطئة المتضمنة في دائرة المعارف الإسلامية الصادرة بليدن».

أما بالنسبة لمادة «قرآن» بدائرة المعارف الكونية الصادرة بالإنجليزية والفرنسية، فهي تتكون من ثلاث مقدمات مختلفة:

١) «من الرسالة القرآنية إلى الواقعة القرآنية»(٢).

٢) «تفسير القرآن».

٣) «القرآن والدراسات المعاصرة».

---

(١) من ذلك الطعن في ربانية مصدر القرآن، وادِّعاء أنه من كلام محمد ﷺ، ص٤٠٤، ومن ذلك دعوى: أن اتخاذ القرآن جاء بطلب من الصحابة رضي الله عنهم حين طالبوا بكتاب مثل اليهود والنصارى ص٤٠٥، ومن هذه الشُّبَه أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يترك نسخة مكتوبة أصلية للقرآن ص٤٠٦.

(٢) هذه المقدمة عبارة عن ملخص لما نشره بلاشير عن القرآن وتفسيره ضمن الجزء الثاني من تاريخ الأدب العربي الذي صدرت طبعته الفرنسية الأولى ١٩٥٢م، ونشر بعد ذلك ضمن سلسلة: «*Que sais - je*».

وبما أن النص الأول عبارة عن تلخيص لما كتبه بلاشير (تـ ١٩٧٣م) قبل استهلال القرن الخامس عشر الهجري فسأسقطه من الكلام. أما النصَّان الآخران فهما من تحرير المستشرق الفرنسي كلود جيليو⁽¹⁾، ويعرض أولهما لتطور تفسير القرآن منذ الطبري (ت ٣١٠هـ) إلى الفترة المعاصرة مع سيد قطب (ت ١٣٨٦هـ) مروراً بمدارس التفسير وتراث المبتدعة فيه⁽²⁾. أما النص الأخير فقد خصص للدراسات المعاصرة، والمراد بها كتابات المستشرقين حول القرآن فيما يتعلق بموضوعين: جمع المصحف، ثم الدعوة إلى إعادة تفسيره⁽³⁾.

بالإضافة إلى تحرير المواد السابقة عمد المستشرقون ابتداء من أواخر العقد الثاني من القرن الخامس عشر إلى إصدار دائرة معارف خاصة بالقرآن "*Encyclopédie du Coran*" أشرف عليها كلود جيليو السالف الذكر، وصدرت هذه الدائرة عن مكتبة بريل بليدن في هولندا باللغة الإنجليزية، لكن هذا المشروع الجديد لم يَلْقَ الاحتضانَ والعناية اللتين لقيتهما دائرة المعارف الإسلامية.

المطلب الثالث

إعداد الدراسات والتقارير

نشر المستشرقون المعاصرون عشرات الدراسات والمقالات والمختصرات عن القرآن وتفسيره خلال الربع الأول من القرن الهجري الحالي، وتتبع بعضهم كل

---

(١) كلود جيليو «*C.Gilliot*» درس في جامعة باريس الثالثة، وحضر رسالتي الماجستير والدكتوراه خلال عقد الثمانينيَّات عن تفسير الطبري، وعمل منذ مطلع القرن الهجري الحالي بجامعة مرسيليا «*Université de Province*»، وله علاقات وثيقة مع المستشرقين الألمان.

(٢) انظر: *Encyclopaedia Universalis, corpus 6, PP: 543 – 547*

(3) Ibid, PP: 547 - 548.

ما صَدر وطُبع في مجال الدراسات القرآنية كما تشهد لذلك الصفحات المخصصة للمتابعات ضمن مجلتي أربيكا وستوديا إسلاميكا مثلاً.

ولأنه يستحيل جَرْد كل هذه الكتابات سوف نقتصر على نماذج منها:

١) في مجال التفسير: نشر الفرنسيون عام ١٤٠٣هـ مختصراً لتفسير الطبري(١)، ونشر الإيطاليون على امتداد سنتين ١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ مختارات من تفسير القرآن سهر على انتقائها وترجمتها خمسة مسيحيين، ونشرت في مجلة المعهد البابوي للدراسات العربية(٢).

٢) في مجال الدراسات والمقالات أشير إلى الأمثلة التالية:

- نشرت دار أندريه ريبان «مدخل إلى تاريخ التفسير» عام ١٤٠٨هـ في ٣٤٦ صفحة بالإنجليزية ضمن سلسلة أكسفورد(٣).
- ونَشرت انجيليكا نوريت «مسائل نافع بن الأزرق» عام ١٤١٣هـ في مجلة المستشرقين الألمان(٤).
- ونُشر بلندن عام ١٤١٣هـ ضمن مجموعة دراسات بالإنجليزية «مدخل إلى القرآن» في (٣٤٧) صفحة(٥).

---

(1) *Commentaire du Coran, Abrégé, traduit et annoté par Pièrre Godé, Ed. d'Art, Paris 1983.*
وصاحب المختصر متصوف فرنسي كان موظفاً في مكتبة الدراسات العربية، جامعة باريس الثالثة وطبع المختصر في أربعة مجلدات.

(2) *Le commentaire coranique, in Etudes arabes, dossiers n° 67 - 68 - 69, I.P.E.A. Rome 1984 - 1985.*

(3) *A. Rippin (ed), Approaches to the history of the interpretation of the Quran, Oxford. Clarendon Press, 1988*

(4) *A.Neuwirth, Die Masail Nafi b. al azraq, Z.A.L 25, 1993, PP 233 – 250.*

(5) *G.R. Hawting (ed), Approaches to the Quran, Londres - new York 1993*

- ونَشر دانييل جيماري ضمن منشورات لوفان بباريس «قراءة المعتزلة للقرآن من خلال تفسير أبي على الجبائي» عام ١٤١٤هـ في (٨٨٩) صفحة(١).

- غير أن أغزر المستشرقين كتابة وتأليفاً عن القرآن خلال الربع الأول من القرن الخامس عشر هو الفرنسي كلود جيليو، فبعد مناقشته لأطروحة دكتوراه السلك الثالث في تفسير الطبري بجامعة باريس الثالثة في يونيو ١٩٨٢م(٢)، ثم دكتوراه الدولة في الموضوع نفسه عام ١٩٨٧ م، نشر سلسلة من الدراسات عن جامع البيان وعن مؤلفه في عدد من الدوريات الاستشراقية ما بين ١٩٩٠ - ١٩٩٤م(٣) لينتقل بعد ذلك للبحث والتأليف في التفسير ورجاله خلال القرنين الثاني والثالث، وأكثر دراساته مقدمة للمشاركة في مختلف الندوات المتخصصة بفرنسا وألمانيا، ومن ضمن ما طبع منها:
  - نشأة تفسير القرآن(٤).
  - مقاتل بن سليمان مفسر أثري وأصولي مُجَرَّح(٥).
  - لمحات عن التفسير والمفسرين(٦).
  - تفسير القرآن لهود بن محكَّم الهَوَّاري(٧).

---

(1) *D.Gimaret, Une lecture mutazilite du coran, louvain - Paris 1994.*

(2) *C.Gilliot, la sourate al Baqara dans le commentaire de Tabari: le développement et le fonctionnement des traditions exégétiques à la lumière du commentaire des versets 1 à 40 de la sourate, thèse non édité.*

(٣) انظر هذه البيبليوغرافيا في: *Studia Islamica, 1997 / 1, P 161*

(4) *C.Gilliot, les débuts de l'exégèse coranique, RE.M.M.M 58, 1990, P: 82 - 100*

(5) *C.Gilliot, Moqatil, grand exégète traditionniste et théologien maudit, journal asiatique n° 279,1991, P: 39 - 92.*

(6) *C.Gilliot, Notes et and commentaire et commentaries, studia Islamica, 1997/1, P: 155 – 162.*

(7) *C.Gilliot, le commentaire coranique de Hud.B.Muhakam, arabica tome 44, F.2, P 179 - 233.*

- الأكاذيب الثلاث لإبراهيم في التراث التفسيري الإسلامي(١).
- إعادة بناء نقدية للقرآن(٢).

المطلب الرابع

التحقيق والفهرسة

تضاءل اهتمام المستشرقين بأعمال التحقيق وخدمة التراث المخطوط خلال القرن الهجري الحالي لأسباب عدة منها:

- ضعف التكوين العلمي.
- تقلص الدعم الذي كانت تحظى به أقسام الدراسات الشرقية.
- عزوف الغربيين عن التخصص في هذا المجال.
- تراجع مكانة دُور النشر المتخصصة مثل مكتبة جاك بريل بمدينة ليدن في هولندا، ولوفان في بلجيكا وفرنسا.

وخلال الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري برز بين المستشرقين المهتمين بالتراث المخطوط: الألماني ميكلوش موراني(٣) الذي نشر خلال عشر

---

(1) *C.Gilliot, les trois mensonges d'Abraham dans la tradition interprétante musulmanes, Jerusalem Oriental Studies, 17.1997.*

(2) *C.Gilliot, une reconstruction critique du coran, in Results of contemporary research on the Quran 2007, Ed. Kropp, P: 33 - 138.*

(٣) م. موراني مستشرق ألماني ولد أوائل أربعينيات القرن الميلادي الماضي، عمل في معهد اللغات الشرقية بجامعة بون، وقد اشتهر باهتمامه خلال سنوات بالتراث المالكي المخطوط، وقد تقاعد عام ٢٠٠٧م بعد أن نشر في دار الغرب الإسلامي ببيروت سلسلة من كتب المالكية؛ وله علاقات وثيقة مع عدد من الباحثين في العالم العربي.

السنوات الأخيرة عدداً من كتب عبد الله بن وهب المصري (ت ١٩٧هـ)، ومن ضمنها قطع من مصنفه في الحديث «جامع ابن وهب» حصل عليها في إطار اتفاقية تعاون بين المكتبة العتيقة بالقيروان في تونس وبين جامعة بون في ألمانيا، فصدر له عن دار الغرب الإسلامي في بيروت خلال سنة ٢٠٠٣م ثلاثة كتب هي:

- الجامع - تفسير القرآن لابن وهب، المجلدان: الأول والثاني.
- الجامع - علوم القرآن.

ورغم أن هذه الكتب صدرت بتحقيق وتعليق د. موراني الذي يرجع له السبق في وضع هذه النصوص بين أيدي المهتمين، إلا أن منهج التحقيق عنده لا يستوفي الشروط التي خَطَّها مواطنه براجستراسر.

فالعنوان الذي نشرت به هذه الكتب الثلاثة فيه التباس ناتج عن كونها مستلَّة من مصنف حديثي يرجع إلى القرن الثاني الهجري.

ذلك أن عبد الله بن وهب اشتهر في كتب التراجم بأنه من المصنفين في «الجوامع»^(١)، والجامع في اصطلاح المحدثين: ما فيه جميع أقسام الحديث^(٢)، فيكون الجزء الأول والجزء الثاني مما نشره د. موراني «كتاب التفسير» من جامع ابن وهب وليس «الجامع تفسير القرآن لابن وهب» كما أُثبت على التجليد، أما الجزء الثالث الذي نشره د. موراني باسم: «الجامع علوم القرآن» فلا يعدو كونه «كتاب فضائل القرآن» من جامع ابن وهب؛ لأن مصطلح علوم القرآن كما عُرِف عند

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٦ ص٤٢٣.

(٢) قال الشيخ المباركفوري في تحفة الأحوذي ج١ ص٣٤: «والجامع في اصطلاح المحدثين: ما توجد فيه أحاديث العقائد، وأحاديث الأحكام، وأحاديث الرقاق، وأحاديث الآداب، والأحاديث المتعلقة بالتفسير والتاريخ والسير، وأحاديث الفتن، وأحاديث المناقب والمثالب».

المتأخرين لم يكن متداولاً خلال القرن الثاني للهجرة، ولم يشتهر إلا في القرن الرابع مع أبي القاسم بن حبيب (ت ٤٠٦هـ) صاحب «التنبيه إلى فضل علوم القرآن»(١).

ومن الإنصاف، واحترازاً من إطالة الكلام على هذا التحقيق ينبغي التنبيه على الأمور التالية:

- أن د. موراني أخرج هذا النص المنشور من غيابات جُبٍّ استعصى على الباحثينَ وُلوجُه.
- أن هذا النص كان أوراقاً مبعثرة متآكلة، فصرف د. موراني جهداً كبيراً وصبراً ظاهراً لجمع شملها.
- أن هذا المستشرق عُني بنفسه بنَشْرِ الكتاب في طباعة رائقة بدار الغرب الإسلامي.
- وتبقى خصلة التواضع العلمي ميزة للدكتور موراني كما تشهد لذلك كلمته آخر مقدمة الجزء الأول(٢).
- وأخيراً تنبغي الإشارة إلى مساعدة الدكتور موراني لعدد من الباحثين المتخصصين في تحقيق بعض مصادر المكتبة القرآنية، من ذلك مثلاً ما أفاده منه د. عامر صبري من جامعة الإمارات حين اشتغل على تحقيق قطع من مخطوط «أحكام القرآن» للقاضي إسماعيل بن إسحاق الذي نشر عام ١٤٢٧هـ.

---

(١) انظر قطعة من الكتاب نشرتها مجلة المورد العراقية بتحقيق محمد كاظم، المجلد (١٧) العدد (٤) سنة ١٤٠٩ ص٣٠٥ - ٣٢٢.

(٢) ميكلوش موراني، الجامع تفسير القرآن لابن وهب ج١ ص١٢.

المبحث الثالث

وسائل عمل المستشرقين المهتمين بالدراسات القرآنية خلال هذه الفترة

استفاد المستشرقون خلال الربع الأول من القرن الخامس عشر للهجرة من مختلف ما تسمح به القوانين الغربية لمراكز البحث وأقسام الدراسات الجامعية، وتحت مظلة هذه التشريعات أَسَّسُوا شراكات علمية وأصدروا نشرات ومجلات، وحصلوا على قسط من الدعم المخصص لمراكز البحث القومية، ورغم هذا كله فالمستشرقون – الذين أصبحوا ينسبون أنفسهم إلى «الاستعراب» *"arabisant"* أو «الإسلامولوجيا» *"Islamologue"* لم يستطيعوا إحياء مجد أسلافهم لأسباب سيأتي الكلام عليها في المبحث التالي.

وأهم ما سخره هؤلاء لخدمة أغراضهم في مجال الدراسات القرآنية:

أ – عقد اتفاقيات التعاون.

ب – تنظيم المؤتمرات والندوات.

ج – إصدار المجلات والدوريات.

د – إعداد الموسوعات والإصدارات المتسلسلة.

هـ – إلقاء المحاضرات ونشر الكتب والتعريف بها.

وفي هذا المبحث خمسة مطالب:

المطلب الأول

عقد اتفاقيات التعاون والشراكة

وهذه الاتفاقيات والتعهدات تعقد فيما بين المؤسسات الاستشراقية بالغرب، وأحياناً بينها وبين بعض المراكز العلمية في عدد من الدول الإسلامية، من ذلك:

١) اتفاقية التعاون العلمي بين مركز دراسة الحضارة والفنون بالقيروان - رقادة في تونس، ومعهد اللغات الشرقية التابع لجامعة بون بألمانيا، وبواسطة هذه الاتفاقية حصل الألمان على عدد من نوادر المخطوطات من ذخائر المكتبة العتيقة بالقيروان؛ ومنها «أحكام القرآن» للقاضي إسماعيل بن إسحاق.

٢) ومن ذلك اتفاقية تعاون أخرى بين عدد من المستشرقين وبين المعهد الألماني للدراسات الشرقية في بيروت *"ORIENT-INSTITUT-BEIRUT"* وهذا المعهد له مقر في بيروت وآخر في زيوريخ، وأصدر الكثير من الكتب ضمن منشورات مانفرد كروب *"Manfred Kropp"*، واحتضن عام ٢٠٠٢م مؤتمراً استشراقياً عالمياً حول الدراسات القرآنية المقارنة، كما طبع هذا المعهد الأبحاث الملقاة في المؤتمر باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

٣) ومن هذه الاتفاقيات التعهد الخاص بالبحث والتبادل العلمي الموقع بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٩٨م بين حلقة الدراسات العربية بجامعة توبنجن بألمانيا من جهة وبين مركز الأبحاث والدراسات حول مجتمعات البحر الأبيض المتوسط بمرسيليا وشعبة الدراسات العربية في جامعة إكس إن بروفانس بفرنسا من جهة ثانية، وأثمرت هذه الاتفاقية ندوة احتضنتها «دارة المتوسط لعلوم الإنسان» *"La Maison Méditerranéenne des Sciences de L'homme"* كان موضوعها

«استعمالات القرآن» *"Les usage du Coran"* درس فيها المستشرقون خلال الأيام من ٥ إلى ٧ نوڤمبر ١٩٩٨م حول موضوع: «انتقال القرآن من (كتاب مقدس) إلى مدونة تشريع بالمجتمعات الإسلامية»، وفي إطار هذه الاتفاقية أيضاً اجتمع المستشرقون أنفسهم في ندوة ثانية بمدينة توبنجن بألمانيا خلال يومي ٣ و٤ نوڤمبر ٢٠٠٠م وكان موضوع الندوة هو الحديث(١).

وبتتبع أسماء المستشرقين المشاركين في مختلف هذه الأنشطة نجد الكثير من الأسماء تتكرر في تظاهرات يتم تنظيمها من قبل هيئات مختلفة، وفي إطار اتفاقيات تعاون متنوعة وتمولها مراكز ودول عديدة، لكن كبار المساهمين فيها بالعروض والمحاضرات هم نفس الأشخاص أمثال الألماني ناجل *"T.Nagel"*، والفرنسي جيليو *"C.Gilliot"*، والإيطالي نوصيدا *"S.N.Noseda"*.

المطلب الثاني

تنظيم المؤتمرات والندوات

أكثر الندوات الاستشراقية التي اهتمت بالقرآن نظمها الألمان والفرنسيون، وأهم ما عقد منها منذ مطلع القرن الخامس عشر للهجرة:

١) ندوة نظمتها الجامعة الوطنية الاسترالية بكانبيرة، وامتدت على أيام أسبوع كامل من ٨ – ١٣ ماي ١٩٨٠م، ووافقت مطلع القرن الهجري الجديد، وكان عنوانها: *"The Quran through fourteen centurie"*(٢).

---

(١) انظر مقدمة العدد المزدوج من مجلة أربيكا لشهر يوليو – أكتوبر ٢٠٠٠م، وقد نشرت ندوة الحديث هذه بألمانيا عام ٢٠٠٥م تحت عنوان: *"Das prophetenhadit, Dimensionen einer Islamishen literaturgattung"*.

(2) *The Australian National University, Canberra 1980.*

٢) ندوة نظمها الألمان في مدينة بون ما بين ١٧ و٢١ نوڤمبر١٩٩٣م، وكان موضوعها عن متن القرآن *"The Qoran as Text"*، ونشرت مطبوعة ضمن إصدارات *"Stefan.Ed"*، مكتبة بريل بليدن ١٩٩٦م.

٣) ندوة نظمها الفرنسيون والألمان في مرسيليا ما بين (٥) إلى (٧) نوڤمبر ١٩٩٨م، وكان موضوعها «استعمالات القرآن» *"Les usages du Coran"*، وقد سبقت الإشارة إليها - ونشرت الأبحاث الخمسة عشر المقدمة إليها ضمن مجلة المستشرقين الفرنسيين «أرابيكا» *"Arabica"* عدد يوليوز أكتوبر ٢٠٠٠م.

٤) المؤتمر العالمي لدراسات الشرق الأوسط الذي نظم من قبل الألمان في بيروت ما بين (٨) إلى (١٣) سبتمبر٢٠٠٢م وكان موضوعه «نتائج البحث المعاصر في القرآن: أسئلة النقد التاريخي للنص القرآني» *"Result of Contemporary Research on The Qoran: The Question of a Historio - Critical Text of The Qoran"*.

وقد نشرت الأبحاث الثمانية المقدمة إلى هذا المؤتمر عام٢٠٠٧م ضمن منشورات (مانفرد كروب) التي سبقت الإشارة إليها.

٥) ندوة عن «تاريخ مناهج التفسير» عقدها المستشرقون الألمان: *"Collogue: Historische Sondierunger und Methdische Reflexionnenen zur Koranixegène Wege zur Rekonstruktion des Vorkanonischen Koran"* وقد احتضنتها جامعة برلين ما بين ٢١ و٢٥ يناير٢٠٠٤م(١).

---

(1) *The Question of a Historio - Critical Text of The Quran, p2.*

المطلب الثالث

إصدار المجلات والدوريات

اهتم المستشرقون بالصحافة المتخصصة التي ينشرون فيها دراساتهم ويتابعون بواسطتها أخبار جمعياتهم، كما يصدرون ضمن أعدادها أعمال ملتقياتهم، هذا فضلاً عن الخدمة التي تقدمها لهم هذه المجلات في مجال الترقي الوظيفي، وتعد دار بريل العريقة أهم ناشر لهذه الإصدارات التي تكون غالباً دورية.

وهذه الدوريات والمجلات على نوعين:

- مجلات متخصصة وهذه قليلة، والسبب الراجح لقلتها عدم القدرة على الاستمرار في إصدارها بانتظام؛ لندرة المواد التي قد تستحق النشر.
- ثم هناك مجلات استشراقية غير متخصصة في الدراسات القرآنية، لكن تُصدر أعداداً خاصة منها لهذه الدراسات فقط.

أما المجلات المتخصصة فلعل أشهر ما أصدره المستشرقون خلال الربع الأول من القرن الخامس عشر «مجلة الدراسات القرآنية» *“Journal of Quranic Studies”* التي ظهرت بألمانيا عام ١٩٩٨م، ومن المشرفين عليها والمساهمين فيها المستشرقة أنجليكا نوريث، وقد صدر المجلد الخامس لهذه المجلة عام ٢٠٠٣م.

أما المجلات الاستشراقية التي تُصدر أعداداً خاصة بالدراسات القرآنية فمنها على سبيل المثال المجلة الألمانية «المخطوطات الشرقية» *“Manuscripta Orientalia”* الصادرة في بترسبورغ عام ١٩٩٥م التي خَصَّصَتْ أعداداً من مجلدها السادس الصادر عام ٢٠٠٠م للمصاحف المخطوطة.

ومنها مجلة فرنسية متخصصة في دراسة الأناجيل *“le monde de la bible”* التي أفردت العدد (١١٥) منها الصادر في نوڤمبر - ديسمبر ١٩٩٨م لموضوع

«القرآن والأناجيل والتوراة» *"le coran et la bible"* ومن بين الذين حرروا هذا العدد المستشرق الفرنسي المتخصص في مخطوطات المصاحف فرانسوا ديروش *"Francois Déroche"*.

ومن هذه المجلات «أرابيكا» *"Arabica"* الفرنسية التي خصصت العدد المزدوج الثالث والرابع من المجلد السابع والأربعين للدراسات القرآنية، وصدرت ضمنه عدة أبحاث جاءت مقسمة على أربعة مطالب:

- القرآن: تكوينُه وبدايته.
- القرآن: لغته وأدبه.
- التفسير الصوفي للقرآن.
- التطبيقات الحديثة والمعاصرة للقرآن.

المطلب الرابع

إعداد الموسوعات والإصدارات المتسلسلة

أهم إنجاز استشراقي في هذا المجال «دائرة معارف القرآن» *"Encyclopedie du coran"* التي سبقت الإشارة إليها وأصدرتها بأجزائها مكتبة بريل بمدينة ليدن، وإن كانت هذه الموسوعة دون قيمة «دائرة المعارف الإسلامية» *"Encyclopédie de l'islam"*.

وتأتي في الدرجة الثانية بعد الموسوعات «الإصدارات المتسلسلة» *"collections"* التي يحرص المستشرقون على الإسهام في كل ما يتعلق منها بالقرآن.

من هذه السلسلات ما أصدره الإيطالي سيرجيو نوصيدا - من الجامعة الكاثوليكية في ميلانو - والفرنسي فرنسوا ويروش - من المدرسة التطبيقية

للدراسات العليا في باريس – عن «مصادر نقل النص القرآني» *“sources de la transmission du texte coranique”*. وصدرت هذه السلسلة ما بين ١٩٩٨ و٢٠٠١م عن المؤسسة الإيطالية *“Ferni Noja Noseda”* وتضمنت دراسات عن مخطوطات المصاحف التي تدخرها المكتبة الوطنية في باريس، وكان ديروش قد عمل بها ما بين ١٩٧٩ – ١٩٨٣م، ومخطوطات تدخرها الخزانة البريطانية.

ومن هذه السلسلات إصدار سُميَ «تكوين العالم الإسلامي الكلاسيكي» *“The Formation of the Classical Islamic World”* وهي سلسلة بالإنجليزية في سبعة وأربعين مجلداً، ناشرها الأصلي مؤسسة لورانس كونراد بلندن في إنجلترا، وببروكفيلد في الولايات المتحدة، وقد خُصص المجلدان الرابع والعشرون والخامس والعشرون منها للقرآن، وأشرف على تحرير هذين المجلدين «أندريه ريبان» *“Andrew Rippin”* – قبل أن يتحول إلى ناشر بالولايات المتحدة – وقد صدر المجلد الخامس والعشرون من هذه السلسلة عام ١٩٩٩م؛ والجدير بالذكر أن مثل هذه الإصدارات المتسلسلة كثيرة بالغرب تَتوَلَّاها دور نشر تستكتب المختصين في الموضوعات التي ترغب فيها؛ لذلك لن نستغرب مثلاً أن تكون المادة التي حررها أندريه ريبان بهذه السلسلة عن تكوين القرآن وتفسيره *“The Quran: formative interprétation”* قد سبق له نشرها قبل ذلك في إصدار آخر.

المطلب الخامس

إلقاء المحاضرات ونشر الكتب والتعريف بها

وهذا جانب مهم من أسلوب عمل المستشرقين في مجال الدراسات القرآنية، فأي كتاب أصدره هؤلاء خلال الربع الأول من القرن الخامس عشر ولو كان كتاباً مكرراً لإصدار قديم، أو كان عبارة عن جمع لمقالات متفرقة نشرت في المجلات

الاستشراقية سابقاً، فإن هذا الكتاب بعد طبعه - وأحياناً قبل ذلك - يكون موضوعاً لسلسلة من المحاضرات، كما تخصص له المجلات ملاحق في آخرها للتعريف به.

من ذلك مثلاً دراسة لمارية تيريس *“Marie Thérèse Urvoy”* وزوجها دومينيك أورفوي *“Domonique Urvoy”* عن «طرق الإقناع في القرآن» *“de quelques procédés de persuasion dans le coran”*.

فقد استدعيت تيريس لتحاضر في موضوع مؤلفها من قبل الجامعة الكاثوليكية في بودابيست برومانيا عام ٢٠٠٠م، ثم استدعيت لإلقاء عرض عنه بجامعة ليون الثالثة في فرنسا عام ٢٠٠١م(١) مع أن الدراسة المقدمة تافهة في الأصل، اعتمدت على موارد كتب المستشرقين، وعلى مؤلفات عربية مشبوهة مثل كتاب «الفن القصصي في القرآن» للدكتور خلف الله.

ثم بعد أن يطبع الكتاب وتستهلكه المحاضرات والعروض في شتى الملتقيات والحلقات يستمر الكلام حوله، وكذلك يستمر التعريف به في المجلات التي تخصص في آخرها ملاحق للإعلان عن الإصدارات.

من ذلك مثلاً ما نجده في آخر أعداد «أرابيكا» التي أسسها عام ١٩٥٤م عدد من المستشرقين الفرنسيين، فهذه المجلة لا تدَّخر وسعاً لإشهار مختلف الكتب التي يهتم بها المستشرقون سواء ضمن تراجم الأعلام أو ضمن «النشرة النقدية» *“Bulletin Critique”* التي لا تخلو منها أعداد السنوات القليلة الماضية، وقد تحولت هذه النشرة النقدية حالياً إلى صفحات دعاية لكتب المستشرقين ولمنشورات بعض المارقين من أبناء العالم الإسلامي، من ذلك ما نجده في آخر العدد المزدوج (٣ - ٤) ضمن المجلد السابع والأربعين لسنة٢٠٠٠م المخصص للدراسات القرآنية، فقد تضمنت النشرة النقدية إشهاراً للكتب التالية:

---

(١) انظر: *Arabica Tome49,F:4,2002P 456*

١) كتاب الألماني بوب زين: مدخل إلى القرآن: *"Hartmut Bobzin, Der Koran, Eine Eeinfuhrung"* الصادر في ميونيخ عام ١٩٩٩م، وهو كتيب صغير جداً.

٢) كتاب التونسي مظهر صفار الذي ينكر في عنوانه ومادته ربانية مصدر القرآن: *"Moudher Sfar, le coran est - il authentique?"* الصادر في باريس عام ٢٠٠٠م.

٣) كتاب ابن الوراق: «لماذا لست مسلماً؟» الذي صدر بالإنجليزية عام ١٩٩٥م، ثم ترجم إلى الفرنسية عام ١٩٩٩م *"Ibn Warraq, Pourquoi je ne suis pas musulman?, Lausane"* ويحمل تقديماً منسوباً إلى المارقة البنغالية تسليمة نسرين.

٤) أطروحة دكتوراه قدَّمها المدعو كرماني إلى جامعة بون عن «التجربة الجمالية للمسلمين وارتباطها بالقرآن» وطبعت في ميونيخ عام ١٩٩٩م: *"Kerman Navid, Gott ist schon. Das Asthetische Erleben des Korans"*.

٥) كتاب أندريه ريبانه «القرآن: تكوينه وتفسيره» وهو الجزء الخامس والعشرون من سلسلة مؤسسة لورانس كونراد التي سبق الكلام عليها(١).

على أنه يجب التنبيه على أن ما يسمى بـ «النشرة النقدية» عبارة عن دعاية لترويج هذه المطبوعات بين القراء بالغرب خاصة، إذ يكتفي محرر النشرة – بعد انتقاء العناوين التي يريد – بإعطاء ملخص عن الكتاب مع التنويه به دون التفات إلى القيمة المعرفية أو العلمية.

---

(١) انظر: *Arabica, tome 47 Fascicules 3 - 4, pp:563 - 575*

المبحث الرابع

تضاؤل الدراسات المهتمة بالقرآن عند المستشرقين خلال هذه الفترة

مضى ذلك الزمن الذي وجَّه فيه المستشرقون طاقاتهم لخدمة مختلف فروع الدراسات القرآنية، سواءً سَلِمَتْ دوافعهم، أو كانت لهم أغراض ذاتية دينية أو سياسية تحفزهم، والقارئ المتفحص اليوم لفهارس ما نشره - قبل نصف قرن - الغربيون المهتمون بالقرآن يفاجأ بسَبْقهم في نشر عدد من كتب التفسير والقراءات، حتى إن عدداً من هذه المصنفات لا زال إلى اليوم يطبع بطريقة التصوير اعتماداً على الطبعات الاستشراقية القديمة.

وخلال عقود ماضية اشتهرت نخبة من أعلام المستشرقين الذين خدموا الدراسات القرآنية من أمثال الألماني أوتو برتسل الذي استطاع خلال زمن لا يتجاوز ثمانياً وأربعين سنة أن يصدر العديد من عيون المكتبة القرآنية مثل: فضائل أبي عبيد، وتعليل القراءات للشيرازي، والتيسير، والمقنع لأبي عمرو الداني وغيرها(١).

خلافاً لهذا الماضي نجد الحركة الاستشراقية التقليدية آخر القرن الرابع عشر للهجرة ضعفت وتسللت إلى مجامعها عوامل الهرم بعد إلغاء مؤتمرها الدولي، إضافة إلى ذلك أصبح اليوم عدد من أشهر الدوريات المتخصصة في الدراسات الشرقية بأوربا مهددة بالتوقف والإفلاس، ولعل أبرز مظاهر هذا الواقع انحسار

---

(١) ولد برتسل في ميونيخ ١٨٩٣م، تخصص بعد دراسته الجامعية في التوراة، وانتقل إلى الاهتمام بالعربية، واشتغل في مشروع أكاديمية بافاريا للعلوم الذي اعتنى بنشر كتب القراءات القرآنية، وأثناء الحرب العالمية الثانية استدعي للخدمة العسكرية، وقتل في سبتمبر ١٩٣٩م في حادث طائرة عسكرية.

أقسام الدراسات الشرقية في أوربا، وغلبة الدراسات التاريخية والاجتماعية على اهتمامات الجيل الحالي من المستعربين الذين عجز أكثرهم عن الاقتراب من ميدان الدراسات القرآنية الذي شغف به كثير من أسلافهم.

وفي هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

انحسار أقسام الدراسات الشرقية

نحن نعلم أنه منذ بداية القرن الرابع عشر للهجرة حرص كثير من الدول في شرق أوربا وغربها على فتح أقسام للدراسات الشرقية في جامعاتها الرئيسة؛ وذلك استجابة للطلبات المتزايدة لإعداد جيل من الدبلوماسيين والإداريين الذين تحتاج إليهم السياسة الخارجية، وبحكم اتساع خريطة العالم الإسلامي وكثرة أَعداد المسلمين أصبح التخصص في أحد فروع الدراسات الإسلامية يغري الأوربيين، حتى وجدنا من ابتدأ بالتخصص في الدراسات العبرية والأرمينية. ثم ما لبث أن غَيَّر مجال اهتمامه، وصرف جهده إلى ميدان المعارف الإسلامية.

غير أنه في آخر هذا القرن تراجع هذا الاهتمام وقلَّ عدد الأوربيين الذين يتخصصون في الدراسات الشرقية عموماً، ودخل الاستشراق منذ ذلك التاريخ مرحلة من الإسفاف، تتجلى من خلال مظهرين:

الأول: جرأة أكثر المنتسبين إلى الاستشراق الجديد على ادعاء التخصص في كل ما له علاقة بالعرب والمسلمين، فينسبون لأنفسهم المعرفة بالتاريخ والفقه والأدب والفلسفة والاجتماع والنحو في وقت واحد لأنها تتعلق بهذه العلوم عند العرب أو المسلمين، بخلاف ما عليه الأمر بالنسبة للاستشراق القديم الذي يحصر مجال تخصصه.

المظهر الثاني لمرحلة الإسفاف هذه، استقطاب عدد من المنتمين إلى العالم الإسلامي من تلامذة المستشرقين وتوظيفهم، ففي السابق كان هؤلاء يصدرون إلى أوطانهم الأصلية، غير أن الفراغ الذي أصبحت تعاني منه كراسي الدراسات الشرقية بأوربا أوجب على الدول الأوربية توظيفهم، ولاسيما أنهم لا يلزمون هذه الدول بنفس التكاليف المادية للمستشرقين، ويقتصر دورهم على توفير تأطير متواضع للوافدين الجدد من طلبة العالم الإسلامي؛ وانتهى الأمر مطلع القرن الخامس عشر الهجري أن وجدنا تلاميذ المستشرقين الذين حضروا رسائلهم في موضوعات الفلسفة أو تاريخ الفكر، أصبحوا يتجرؤون على الإشراف العلمي على أطروحات في التفسير والفقه وأصول الدين والتاريخ والحضارة والأدب القديم والحديث والشعر والنحو والبلاغة، وحتى في السحر والطلاسم عند العرب.

واليوم إذا نظرنا نظرة فاحصة في عدد من أقسام الدراسات الشرقية في الجامعة بالغرب نجد أن حالها انتهى مع الجيل الحالي إلى ما يشبه قلاع العصور الوسطى، بعد أن انحسر دورها في المجتمع والدولة، وانتزعت منها تخصصها مؤسسات حديثة هي مراكز الأبحاث والدراسات للشرق الأوسط، وإن كنا لا زلنا نصادف بقية من المهتمين بدراسة التراث الإسلامي ومصادر المعرفة فيه ومنها القرآن.

المطلب الثاني

غلبة الدراسات التاريخية والاجتماعية

بينما كانت الدراسات الشرقية في جامعات أوربا الغربية تعيش مرحلة الضعف، ظهر في الولايات المتحدة ما عرف (بمراكز بحوث الشرق الأوسط) التي لا تهتم بالتراث أو الحضارة قدر اهتمامها بقضايا المجتمعات الإسلامية المعاصرة في السياسة والاقتصاد والاجتماع.

وفي المرحلة الأولى عمدت هذه المراكز الأمريكية إلى استقطاب عدد من المستشرقين العاملين بأوربا مثل برنارد لويس الذي نقل من مدرسة اللغات الشرقية بلندن إلى جامعة برنستون الأمريكية، لتأتي بعد ذلك المرحلة الثانية التي تمت فيها تنمية الكراهية للمجتمعات الإسلامية وسط الرأي العام الأمريكي ثم الغربي، وذلك عن طريق إعداد ونشر تقارير في الصحافة، تُظْهر الإسلام على أنه تهديدٌ للحضارة الحديثة(١).

وانتقلت عدوى هذه المراكز من الولايات المتحدة إلى أوربا الغربية، ففي دولة محافظة وعريقة في ميدان الاستشراق كفرنسا تم إحداث «معهد دراسات الشرق الأوسط المعاصر» بمدينة ليون، وهو تابع للمركز الوطني للبحث العلمي بباريس، وفي الجنوب بمرسيليا أُحدث «مركز الأبحاث والدراسات حول مجتمعات الأبيض المتوسط».

وهذه المؤسسات المستحدثة اتجهت رأساً إلى البحث في التاريخ المعاصر وقضايا المجتمعات الإسلامية، واستَبْعَدت مصطلح الاستشراق، وصار مكانه «بحوث الشرق الأوسط» أو «دراسات الأبيض المتوسط»، وذلك حتى لا ترتبط التسمية بالإسلام أو المسلمين.

وفي العقد الثاني من القرن الخامس عشر فتحت فروع لهذه المراكز الغربية وسط العواصم العربية، فتم اعتماد وتمويل:

- «مركز الدراسات والبحوث حول الشرق الأوسط» في بيروت.
- «مركز الدراسات والتوثيق الاقتصادي والقانوني» في القاهرة.
- «مركز البحوث المغاربية المعاصرة» بتونس.

---

(١) وعن طريق هذه التقارير يتم توجيه السياسة الخارجية؛ وانظر في الموضوع مقالة مسهبة للباحث الأمريكي جون اسبوزيتو من جامعة جورج تاون عن طريقة اشتغال المستشرق الحاقد برنارد لويس، وذلك ضمن كتاب التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة؟ ص ٣١٠ وما بعدها.

وكان الهدف من إنشاء هذه المراكز:

- جمع المعلومات عن المجتمعات الإسلامية بواسطة عدد من الباحثين المحليين المتعاقدين.
- تدريب الغربيين في مجال دراسة قضايا العالم الإسلامي السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وانتهى الأمر إلى أن الاستشراق القديم المهتم بالتراث دخل – في جل دول الغرب – مرحلة الانقراض بعد أن سلم «وظيفته التاريخية» إلى هذه المراكز، وقد ظهرت معالم هذه المرحلة من خلال:

- تضاؤل الغربيين المهتمين بالمعارف والثقافات الشرقية.
- قلة الاهتمام بتطوير ما بقي من معاهد الاستشراق.
- تناقص عدد كراسي الأستاذية في هذا التخصص، ووجود متخصصين فيها بدون وظيفة فعلية.

هذا وقد ذهب د. رضوان السيد في دراسة له عن «مصير ثقافة الاستشراق» إلى أن التطورات الأخيرة أدت بعدد من الباحثين الغربيين إلى الانخراط في هذه المراكز التي ورثت الحركة الاستشراقية، وتوجيه دراساتهم تبعاً لما تقتضيه الجغرافية السياسية، فلا ينظرون إلى الثقافة والتاريخ، بل تتركز جهودهم على المصالح الغربية وسبل خدمتها واستمرارها، أما المواد العلمية التي يشتغلون بها فلا تعدو بعض الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التي يعتمدون في معرفتها على «ثقافة السماع»؛ ولأجل التهرب مما يقتضيه المنهج العلمي في إعداد الدراسات يلجؤون إلى إحدى طريقتين للاستدلال:

- إما طريقة الإحصاء والتعداد في مجال الظواهر، ثم يقفزون إلى النتائج السياسية.
- وإما استعراض عدد من خلاصات الكتابات الاستشراقية القديمة لتأكيد نفس النتائج⁽١⁾.

المطلب الثالث

انفراد المدرسة الاستشراقية الألمانية

كما عارض الألمان إلغاء المؤتمر الدولي للاستشراق عام ١٩٧٣م، وظلُّوا محافظين على مؤتمرهم الخاص، حرصوا كذلك على معاهدهم العلمية وعلى مستواها الأكاديمي، ولم تجد مراكز بحوث الشرق الأوسط في بيئتهم مَنْ يحتضنها وينميها.

ومما يجب أن يذكر بهذا الصدد أنه في سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م انعقد مؤتمر المستشرقين الألمان بمدينة توبنجن التي تحتضن جامعاتها أحد أشهر أقسام الدراسات الشرقية، ووسط حرص المنظمين على الطابع الكلاسيكي للاستشراق ارتفعت في المؤتمر بعض الأصوات داعية للبحث في موضوعي: العلاقات الإسلامية المسيحية، وقضايا المشرق الإسلامي وقتئذ، وقد تم رفض هذه الدعوة من قبل كبار مستشرقي ألمانيا؛ لأن ذلك يُدخل المؤتمر في السياسة ولا شأن له بها⁽٢⁾.

---

(١) رضوان السيد، ثقافة الاستشراق ومصادره وعلاقات الشرق بالغرب ضمن دورية الفكر العربي، العدد ٣١ ص ١٣ - ١٤.

(٢) وقد تم الاحتجاج لهذا الرفض بالمبررات التالية:

- أن التعرض لهذه القضايا المعاصرة يقتضي ضرورة اتخاذ موقف، وهو ما يضر بالمؤتمر.
- أن صراعات الشرق الأوسط يتعذر طرحها في نقاش علمي هادئ.
- أن البحث في مجال هذه القضايا المعاصرة من اختصاص أساتذة العلوم السياسية والاستراتيجية، ولن يستطيع المستشرقون أن يقولوا فيها جديداً.

وانظر: رضوان السيد، مرجع سابق، ص٥.

وبالنسبة للدراسات القرآنية عند المستشرقين الألمان خلال الربع الأول من القرن الخامس عشر للهجرة فإنها ترتبط بمجهود المستشرق رودي باريت *"Rudi Paret"* الذي تولى رئاسة قسم الدراسات الشرقية بالمعهد الشرقي بجامعة توبنجن ما بين ١٩٦٢ إلى ١٩٨٢م، وأصدر عام ١٩٧٥م بشتوتغارت كتاباً عن (محمد والقرآن)، ثم أعدَّ ترجمة تفسيرية للقرآن عام ١٩٧٩م ادعى فيها الاعتماد على تفاسير الطبري والزمخشري والبيضاوي، لكن المهتمين بالاستشراق الألماني تعقبوه بأنه لم يتخلص من تلك الشبهات التي ظلَّ أسلافه يرددونها في كتبهم(١)، كما أن رودي باريت هو الذي حرر مادة «ترجمة القرآن» ضمن الإصدار الجديد لدائرة المعارف عام ١٩٨١م كما تقدم؛ وطوال السنوات المنصرمة من القرن الخامس عشر للهجرة ظلت مؤتمرات المستشرقين الألمان وندواتهم تجتذب المستشرقين الكلاسيكيين في بقية دول أوربا وأمريكا، وفي مجال الدراسات القرآنية تحولت جامعة توبنجن إلى مؤسسة عالمية لاحتضان المستشرقين المتخصصين في هذا المجال. ولا ينبغي أن يفهم من هذا المبحث أن الاستشراق خلال الربع الأول من القرن الهجري الحالي دخل طور

---

(١) انظر مبحث الدراسات القرآنية ضمن كتاب الدراسات العربية بجامعة توبنجن، تعريب كمال رضوان، دار صادر بيروت.

- ➢ *N.Angilika, Erste Qibla, Ferntes Masgid, Jerusalam, in Horizont des Historischen mohammad, 1993*

ومن ذلك أيضاً مساهمة الفرنسي كلود جيليو في مناسبة أخرى بالقدس بموضوع: (جمع أو حفظ القرآن: محاولة لتحليل خطاب مشكوك فيه) *C.Gilliot, Collecte ou Mémorisation du Coran: Essai d'analyse d'un vocabulaire ambigu.*

وقد ألقي هذا العرض في الدورة الثانية لمنتدى (الجاهلية والإسلام) بمعهد الدراسات الأسيوية والإفريقية التابع للجماعة العبرية ٢ - ٧ يوليوز ٢٠٠٠م.

الاحتضار، بل لا زال قوياً بمؤسساته وجمعياته وأنشطته، لكنه غيَّر سُبُلَ عملهِ، وانخرط في مشروعات تساير المخططات السياسية الغربية الحديثة بالعالم الإسلامي، تدل على ذلك مثلاً طبيعة الأبحاث التي ينتجها مشاهير المستشرقين المعاصرين في موضوعات تتعلق بالقرآن وبالوحي المحمدي، كما يدل على ذلك - أيضاً - انخراط هؤلاء في مشروعات خاصة بالجامعة العبرية في القدس تتعلق بالدراسات الإسلامية(١).

---

(١) من ذلك مثلًا مساهمة الألمانية أنجليكا نوريث في ندوة بالقدس بموضوع عن (القبلة عند المسلمين) وموضوع القبلة مما تَعدُّه هذه المستشرقة منتحلاً من الأديان السابقة، واختارت للمحاضرة فيه مدينة المسجد الأقصى.

المبحث الخامس

أشهر المستشرقين المهتمين بالدراسات القرآنية خلال هذه الفترة

إن المتتبع لما يصدر عن دور النشر بأوربا الغربية في موضوع القرآن يوقن بأن الحركة الاستشراقية في عصرنا الراهن لازالت نشيطة؛ وإن انقسم أعلامها وانتظموا في جمعيات متخصصة مستقلة بعضها عن بعض، وفي فرنسا ثم ألمانيا بالخصوص وَجَدَ عدد من هؤلاء ضالَّتهم في الكتابة عن القرآن، ووجد منهم مَنْ تخصص اليوم في تاريخ المصحف فاتجه لجمع مخطوطاته بكل الطرق الممكنة سواء داخل أوربا أو مختلف الدول الإسلامية. من هؤلاء المهتمين بمخطوطات المصاحف: *"Frederic Imbert"* و*"Solange Ory"* من جامعة إكس بمرسيليا و*"François Deroche"*، على أن أشهر الغربيين المهتمين بالدراسات القرآنية خلال الفترة التي يعرض لها هذا البحث أربعة:

١) أنجليكا نوريث ٢) كلود جيليو

٣) أندريه ريبان ٤) سيرجيو نوصيدا

وفي هذا المبحث أربعة مطالب:

المطلب الأول

أنجليكا نوريث *"Angélika Neuwrith"*

درست في جامعة برلين وتخصصت في تاريخ اللغات السامية، وبعد حصولها على الدكتوراه عام ١٩٧٢م والتأهيل الجامعي عام ١٩٧٧م اتجهت للاهتمام بمجال الدراسات الإسلامية، ساعدها على ذلك التحاقها - بوصفها أستاذة زائرة - بالجامعة الأردنية ١٩٧٧ - ١٩٨٣م، وجامعة عين شمس بالقاهرة

١٩٨٨ - ١٩٨٩م، قبل أن تصبح مديرة لوحدة البحث والتكوين *"U.F.R"* في اللغة العربية بجامعة برلين، وفي نفس الوقت أستاذة بالجامعة الحرة هناك منذ ١٩٩١م، لتنهي حياتها العملية مديرة المعهد الشرقي الألماني ما بين ١٩٩٤ - ١٩٩٩م. وقد خصصت هذه «المستعربة» التي تكتب باللغة الألمانية قسماً وافراً من تآليفها للقرآن، وترجمت كتاباتها إلى العديد من اللغات الأوربية، وبعض دراساتها نشرت لها بالاشتراك مع زوجها كارل نوريث الذي لا يشاركها الاهتمام نفسه.

والمتتبع لكتابات هذه «المستعربة» يخلص إلى أمرين مَيَّزا منشوراتها:

الأول: الوفاء بمنهج المدرسة الاستشراقية الألمانية في دراسة سور وآيات القرآن كما وضعه المستشرق تيودور نولدكه (ت ١٩٣٠م) في كتابه «ملحوظات نقدية حول التركيب والأسلوب في القرآن»، فكثيراً ما نجد أنجليكا نوريث تختار سورة محددة مثل سورة يوسف، أو سورة الفاتحة، أو سورة الرحمن، أو سورة الحجر، وتكتب عنها، على شاكلة ما دعا إليه مواطنها نولدكه، وتقدم ذلك للمشاركة في مختلف الندوات الاستشراقية.

الأمر الثاني: الترويج لكتابات بعض المنتمين إلى العالم الإسلامي ممن حذوا حذو المستشرقين في النيل من القرآن، ومن هؤلاء على سبيل المثال: نصر حامد أبو زيد الذي تذيل أنجليكا نوريث مواردها بمنشوره «مفهوم النص دراسة في علوم القرآن» وإن لم تعتمد على افتراءاته بحكم رجوعها إلى مصادر ذلك في كتب المستشرقين.

ورغم أن أنجليكا نوريث تقدم ضمن الكتابات الاستشراقية المعاصرة على أنها متخصصة في «الدراسات القرآنية» إلا أن (...) الشريعة الإسلامية، وبخاصة أحكام العبادات تم استمدادها من مصادر يهودية ترجع إلى عهد إبراهيم الخليل.

ففي مقالتها السالفة عن «سورة الفاتحة» عرضت لعبادة الصلاة وتمحلت كثيراً من أجل الاستدلال على أن جزئيات أحكامها من ركوع وسجود وغير ذلك إنما شرعت خلال مراحل مختلفة خضعت فيها هذه العبادة للتطور والتغيير.

وفي مقالة أخرى – مطولة – نشرتها بعنوان «من النص المقروء إلى التشريع مروراً بأحكام العبادات» استهلت أنجليكا كلامها بالتباكي على الركود التي تعيشه الدراسات القرآنية بالغرب خلال العصر الراهن، لتفترض أن الخروج من هذا الركود يوجب على هذه الدراسات أمرين:

الأول: اعتماد منهج النقد التاريخي وتطبيقه على القرآن كما طبق بالغرب على التوراة والأناجيل.

والثاني: التوجه للبحث في تاريخ تكوُّن هذا الكتاب.

وبعد تجريد مبحث طويل ادعت فيه أن سور القرآن ظلت مدة طويلة تنقل عن طريق التلاوة الشفوية فقط قبل أن يقرر نبي الإسلام «اختراع» *"créer"* وسيلة للتواصل بين الله والإنسان، فكانت الصلاة بداية لمرحلة التشريع وتدوين المصحف، هذا العمل الذي امتد طوال فترة تتراوح ما بين ١٠٠ و١٥٠ سنة، وعلى امتداد هذه الفترة – حسب هذه المستشرقة – كان «ابتداع» أحكام العبادات في الإسلام؛ وبالرغم من كون الكاتبة لم تتكلم في مختلف الفرضيات *"hypothèses"* التي تخيلتها سوى عبادة الصلاة فقط، فإنها خلصت في خاتمة مقالتها المطولة إلى أن العبادات في الإسلام منتحلة من شعائر الأديان السابقة التي سعى القرآن لتبنيها.

المطلب الثاني

كلود جيليو *"Claude Gilliot"*

هو أحد «المستعربين» الدومينكان، ولد قرب كالي *"Calais"* بفرنسا في ٠٦/٠١/١٩٤٠م، حصل على التبريز في العربية عام ١٩٧٩م، وقضى سنوات التدريب في معهد الآثار بالقاهرة التي لا يزال يتردد عليها، ولاسيما في مستهل كل سنة ميلادية.

التحق جيليو بجامعة باريس الثالثة «السربون الجديدة»، وقد احتضنه هناك محمد أركون حتى حصل على دكتوراه الدولة عام ١٩٨٧م، عقب ذلك التحق بمرسيليا وترقى في جامعة إكس إلى درجة الأستاذية، وقد سبقت الإشارة إلى عدد من كتاباته المنشورة وإلى كونه أغزر «المستعربين» المشتغلين بالقرآن إنتاجاً خلال الفترة التي يدرسها هذا البحث.

أشرف جيليو بعد تقاعد أستاذه أركون عام ١٩٩٣م على عشرات الأطروحات كما ساهم في تنظيم عدد من الندوات والحلقات الدراسية في مجال الدراسات القرآنية بفرنسا وألمانيا ولبنان، وهو فضلاً عن ذلك عضو في مجلس الإدارة، وعضو هيئة التحرير لمجلة (أرابيكا) التي أسسها ليفي بروفانسال في باريس في منتصف القرن العشرين، وأكثر ما ينشر اليوم في هذه المجلة الاستشراقية الأكاديمية – التي طالها الهرم – من إنتاجه: إما تحريراً أو تلخيصاً أو نقداً؛ واستطاعت هذه المجلة – بجهوده – استقطاب كتابات عدد من المستشرقين سواء كانوا يؤلفون بالألمانية أو الإنجليزية أو الفرنسية هذا في الوقت الذي نجد فيه مجلة «ستوديا إسلاميكا» *"Studia Islamica"* – المنافسة – التي تصدر في باريس بدعم من جامعة برنستون الأمريكية يضطرب صدورها وتتوقف بعد أن غيب الموت أو الهرم أشهر المشرفين على تحريرها.

وبالنسبة لكتابات كلود جيليو في مجال الدراسات القرآنية، فالغالب عليها الاهتمام بموضوعات تراثية ينشرها باللغتين الفرنسية والألمانية، وأكثر هذه الكتابات تقدم إلى ملتقيات أكاديمية دولية منظمة من قبل مختلف جمعيات المستشرقين.

لكن لماذا انصب اهتمام جيليو على كتب التراث التفسيري بدءاً بجامع البيان للطبري (ت ٣١٠هـ) الذي كان موضوعاً لرسالتيه للماجستير والدكتوراه وانتهاء بتفسيري مقاتل بن سليمان البَلْخي (ت ٥٠هـ) وهود بن محكَّم الهَوَّاري المتوفى حوالي (٢٨٠هـ)؟

إن الدراسة المتأنية لكتابات هذا «المستعرب» الفرنسي تُظهر أن اختياره لهذه الكتب من التراث التفسيري ترجع إلى حرصه على جمع مختلف الروايات الواهية التي نقلها الكذابون عن بعض مسلمة أهل الكتاب في موضوع تلقيه ﷺ للوحي عن ربه.

وقد انتقى جيليو عدداً من هذه الروايات الساقطة واعتمدها في دراساته التي نشرها، ومنها مثلاً:

- دراسة عنوانها: «مكونو محمد من اليهود والنصارى» نشرها عام ١٩٩٨م.
- دراسة ثانية: «شاعر أو رسول» نشرها عام ٢٠٠١م.
- دراسة ثالثة: «إعادة بناء نقدية للقرآن».

والموضوع الأخير نشره جيليو في أكثر من مائة صفحة عام ٢٠٠٣م، وكرر فيه كثيراً من مطاعنه التي ذكرها في مقالتيه السابقتين بشأن بشرية مصدر القرآن، مستدلاً على زعمه بمتون مرويات جاءت في تفسير مقاتل عن عداس، ويسار غلام

بن الحضرمي، وبعد استنفاد أخبار مقاتل بن سليمان اتجه جيليو لجمع مرويات عدد من المجروحين من أمثال السدي (ت ١٢٨هـ) من خلال عدد من كتب التفسير بالمنقول للاستدلال على افتراءاته.

وحتى يحتج على ما انتهى إليه بشأن مصدر القرآن لجأ إلى تجريد مباحث رأى بأنه أول من استنتج منها بشرية القرآن، ومن هذه المباحث التي سطرها:

- مبحث عنونه بقوله: «زيد بن ثابث كاتب محمد وكاتب الوحي تربى في مدرسة اليهود بالمدينة إن لم يكن هو نفسه يهودياً».
- مبحث عنونه بقوله: «النضر بن الحارث والكتابات العربية بالحيرة والأنبار».
- مبحث ثالث عنونه بقوله: «الترجمة العربية للتوراة أو أجزاء منها في عصر محمد».
- مبحث عنونه بقوله: «إعادة بناء (القرآن الأول) المنتقى من اللغة السريانية أو الأرمينية في مكة والمدينة».

وعقب هذه المباحث ختم جيليو موضوعه بنقد مؤَّدب للمستشرق الألماني نولدكه لتقصيره في نقد القرآن، كما انتقد المستشرقَين الفرنسي بلاشير والألماني رودي باريت لأنهما تابعا نولدكه، ليخلص جيليو إلى القول بأن الدراسة النقدية للمصادر الإسلامية تحيلنا على أن القرآن عبارة عن كتاب «منتقى» منذ عصر محمد ﷺ وحتى العصر الأموي، ثم ختم جيليو موضوعه بجملتين كشفتا مبلغ حقده: «الرسول لا يمكن صناعته في يوم واحد، والكتاب الإلهي كذلك»، وتلك خلاصة آخر الكتابات الاستشراقية المتعصبة ولاسيما حين تصدر عَمَّنْ سهر على تربيته الرهبان الدومينكان في فرنسا ومصر.

المطلب الثالث

أندريه ريبان *“Andrew Rippin”*

لم يكن أندريه ريبان «مستشرقاً» بالمعنى المتداول؛ لأنه دخل مجال الكتابة عن الإسلام من نافذة تدريس التاريخ والحضارة في إحدى الجامعات الكندية، قبل أن يتخصص في الحضارة الإسلامية، ومنها ولج مجال التأليف عن القرآن وتاريخ تفسيره.

اشتغل ريبان أستاذاً بقسم دراسة الأديان بجامعة كلجاري *“Université de calgary”* منذ ١٩٨٠م لينتقل بعد عشرين سنة إلى جامعة فكتوريا أستاذاً في كلية العلوم الإنسانية، ثم استقر بعد ذلك في الولايات المتحدة لإدارة مؤسسة للنشر تحمل اسمه، قبل أن يصبح مسؤولاً عن فرع «لورانس كونراد» اللندنية للنشر بمدينة بروكفيلد بالولايات المتحدة.

ومنشورات أندريه ريبان المتصلة بالقرآن تكاد تدور جميعها حول الدراسة التاريخية التي هي التخصص الأصلي للمؤلف، فنشر:

- مقاربة لتاريخ تفسير القرآن، صدرت عام ١٩٨٨م عن المنشورات الجامعية لأُكسفورد.
- ونشر تحت إشرافه:

القرآن: تكوينه وتفسيره عام ٢٠٠٠م.

القرآن: أسلوبه ومحتواه عام ٢٠٠١م.

القرآن والتراث التفسيري عام ٢٠٠١م.

القرآن وترجمته التفسيرية عام ٢٠٠١م.

كما نشرت له دار بريل في ليدن بهولندا بعض الدراسات ضمن عدد من السلسلات التي أصدرتها منذ مطلع العقد الثالث من القرن الخامس عشر، كما حرر مادة تفسير في دائرة معارف الديانات الصادرة بلندن ١٩٨٥م(١).

والملاحظ على مجمل كتابات أندريه ريبان المتصلة بالقرآن:

١) كثرة تكراره للأفكار نفسها في إصدارات مختلفة، إذ إن السلسلة التي أصدرها عن القرآن خلال عامي ٢٠٠٠ - ٢٠٠١م تكاد تدور حول نفس المحاور التي حرر فيها عام ١٩٨٨م كتابه «مقاربة لتاريخ تفسير القرآن».

٢) أن مصادر أندريه ريبان في الدراسات القرآنية تنحصر في مجمل التراث الاستشراقي المكتوب باللغات الغربية.

المطلب الرابع

سيرجيو نوصيدا *“Sergio Noseda”*

«مستعرب» إيطالي متخصص في دراسة الحضارة العربية، ظل اهتمامه بالقرآن محدوداً حتى أنشأ مؤسسة فيرني نوصيدا *“Fondazione Ferni Noja Noseda”* التي اتجهت خلال العقد الثاني من القرن الخامس عشر للهجرة إلى الاهتمام بدراسة مخطوطات القرآن في الخزانات العالمية.

وارتبط في مشروعه هذا بالفرنسي فرانسو ديروش الذي اشتغل سنوات بالمكتبة الوطنية في باريس، وأصدر حينذاك سلسلة من الكتب عن مخطوطات المصاحف التي تدَّخرها هذه الخزانة، وترجع إلى القرن الثاني للهجرة.

---

(1) *A.Rippin, Tafsir In The Encyclopaedia of religion volume 16, Londre 1985.*

وفي سياق التعاون بين هذين المستعربين أصدرت مؤسسة فيرني نوصيدا بإيطاليا ابتداء من سنة ١٩٩٨م سلسلة كتب عن مصادر نقل النص القرآني.

وخُصص المجلدان الأول والثاني الصادران من هذه السلسلة للمخطوطات الحجازية، وبعد تقاعد هذا «المستعرب» من التدريس الجامعي بالجامعة الكاثوليكية بميلانو عام ٢٠٠١م تفرغ لهذا الاهتمام حتى وفاته عقب سقوطه من أحد الجبال.

وإذا كان ميل بعض المستشرقين إلى الاهتمام بمخطوطات القرآن راجعاً إلى افتتانهم بجودتها وجماليتها، فإن عدداً منهم كان توجههم إلى هذه المخطوطات بحثاً عن بعض أوجه الاختلاف في المصحف؛ الشيء الذي لم يعثروا عليه.

وثمة مستشرقون آخرون وُجدوا خلال الفترة التي يدرسها البحث، وكتبوا في مختلف موضوعات الدراسات القرآنية مثل: *“Nagel Tilman”* و*“Solange Muth”* و*“Heidi Toelle”* و*“Jack Goody”* و*“Christoph Muth-Franz”*، لكن الشهرة التي نالها الفرنسي كلود جيليو والألمانية أنجليكا نوريث - بسبب كثرة كتابتهما وإسهامهما المتواصل في مختلف أنشطة المستشرقين المختصين في مجال القرآن - غطت على كل من سواهما من الغربيين طوال العقدين الأخيرين، وقد اضطرني البحث للتعرض لبعض آرائهما المتعصبة حتى يتبين للقارئ مذهبهما من خلال ما كتبا ونشرا.

خاتمة الدراسة

كانت المباحث المتقدمة دراسة للتراث الاستشراقي المتعلق بالقرآن خلال فترة حرجة من تاريخ اهتمام الغربيين بكتاب الله تعالى، ولعل أهم الاستنتاجات التي يمكن أن نخلص إليها من خلال ما تقدم:

١) أن الاستشراق بمعناه التقليدي أفل نجمه مطلع القرن الخامس عشر للهجرة، ومع هذا الأفول تضاءلت اهتمامات المستشرقين المعاصرين بالتراث المتصل بمختلف فروع الدراسات القرآنية.

٢) أن مراكز الأبحاث الحديثة عوضت الأقسام الجامعية الاستشراقية القديمة، واتجهت هذه المراكز لتسخير طاقاتها فيما يخدم المصالح الغربية، ومن ثم وجدنا الدراسات القرآنية عند المستشرقين الآن تتجه مثلاً للبحث عن عقيدة المسلمين من خلال القرآن(١).

٣) أن وسائل عمل المستشرقين المهتمين بهذا المجال تعددت وتنوعت تبعاً لدوافعهم ومصادر دعمهم ومخططات الجمعيات الأكاديمية التي يعملون في إطارها.

٤) أن المدرسة الاستشراقية الألمانية انفردت خلال الحقبة التي يدرسها هذا البحث بريادة واحتضان الدراسات القرآنية بالغرب، فلا نكاد نجد مؤتمراً أو ندوة متخصصة في الموضوع إلا ونصادف آثار المستشرقين الألمان تنظيماً وإسهاماً وتمويلاً.

---

(١) انظر على سبيل المثال أطروحة دكتوراه كلود جيليو في موضوع: التأويل القرآني: اللغة والعقيدة في الإسلام من خلال تفسير الطبري، المنشورة بباريس.

➢ *C.Gilliot, exégèse langue et théologie en Islam, l'exégèse coranique de Tabari, librairie Philosophique J.VRIN, Paris.*

وختاماً نسأل الله العون والسداد والتوفيق في القصد والقول، ولله الأمر من قبل ومن بعد وإليه عاقبة الأمور.

أهم المصادر والمراجع

أولاً: بالعربية:

- أثر المملكة العربية السعودية الرائد في الاهتمام بالدراسات الاستشراقية، مازن مطبقاني، نشر جامعة الإمام، الرياض ١٤٢٦هـ.
- الاستشراق الفرنسي أصوله وتطوره وآفاقه، روبير منتران، ضمن سلسلة كتب الثقافة المقارنة العدد الثاني ١٩٨٧م ترجمة يوسف حبي.
- الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، أحمد درويش، الطبعة الثالثة، دار غريب القاهرة ٢٠٠٤م.
- تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، محمود المقداد، سلسلة عالم المعرفة الكويت، العدد ١٦٧ عام ١٩٩٢م.
- تاريخ القرآن، تيودور نولدكه مع آخرين، منشورات الجمل كولونيا - بغداد ٢٠٠٨م تعريب جورج تامر.
- ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك، زينب عبد العزيز، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.
- التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة؟ جون اسبوسيتو، الطبعة الثانية دار الشروق القاهرة ٢٠٠٢م تعريب قاسم عبده.
- ثقافة الاستشراق ومصادره وعلاقات الشرق بالغرب، رضوان السيد، ضمن دورية الفكر العربي العدد ٣١ السنة الخامسة ١٩٨٣م.
- جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة الجزء الثاني، محمد عبد الرؤوف وآخرون، مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

- سيرة حياتي، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- هل انتهى الاستشراق حقاً؟ مازن مطبقاني، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويت العدد ٤٣، ١٤٢١هـ.

ثانياً: باللغة الأجنبية:

- *Angilika Neuwirth.*
  Du texte la récitation au canon en passant par la liturgie;
  Arabica tome 47 Fas 2, avril 2000, traduit de l'allmand par Thomas Herzog.
- *A.T.Welch, Al kuran, Encyclopédie de l'Islam, Tome 5, Maison neuve et la rose, paris 1981.*
- *Claude Gilliot, exégèse, langue et théologie en Islam, l'exégèse coranique de Tabari, librairie philosophique J.Vrin, paris.*
- *C.Gilliot, notes et and commentaires/commentaries, Studia Islamica, 1977 - 1.*
- *Jacque Berque, le coran: essai de traduction de l'arabe, annoté et suivie d'une étude exégétique, Paris, sindibad 1990.*
- *Jacque Berque, Relire le coran, Bibliothèque Albin Michel, Paris, 1993.*
- *Théodor Noldeke, Remarques Critiques sur le syntaxe et style du coran, Maisonneuve, paris 1953, traduit par: G.H.Bousquet.*

ثالثاً: الندوات:

- ندوة الفيصل من فرنسا: «الاستشراق الصحافي فقر الفكر وجاذبية الشهرة»، مجلة الفيصل العدد ٢١٤ عام ١٤١٥هـ.
- ندوة مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء: «تجديد الدراسات حول الإسلام والعالم العربي» ١٤٠٦هـ (محاضرة أندريه ريمون: ربع قرن من الأبحاث العربية عن تاريخ العالم العربي).

- ندوة «توظيفات القرآن» بمرسليا:

Les usages du coran, Arabica, tome 47 fascule 3 - 4, juillet - octobre 2000.

- ندوة «حياة النبي محمد» بستراسبورغ:

La vie du prophète Mohamed, P.V.F, Paris 1983.

- ندوة «نتائج البحث المعاصر في القرآن»:

Results of contemporary research on the coran, orient institut beirut 2007.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ٩٥

المقدمة ٩٦

المبحث الأول: واقع الحركة الاستشراقية مطلع القرن الخامس عشر للهجرة ١٠٠

المطلب الأول: إلغاء المؤتمر الدولي للاستشراق ١٠١

المطلب الثاني: اتجاهات الحركة الاستشراقية مطلع القرن الخامس عشر ١٠٣

المطلب الثالث: تراجع المستوى المعرفي لدى المستشرقين خلال هذه الفترة... ١٠٥

المبحث الثاني: التأليف في الدراسات القرآنية عند المستشرقين مطلع القرن الخامس عشر ١٠٨

المطلب الأول: ترجمة معاني القرآن ١٠٩

المطلب الثاني: تحرير مواد دائرة المعارف ١١٢

المطلب الثالث: إعداد الدراسات والتقارير ١١٤

المطلب الرابع: التحقيق والفهرسة ١١٧

المبحث الثالث: وسائل عمل المستشرقين المهتمين بالدراسات القرآنية خلال هذه الفترة ١٢٠

المطلب الأول: عقد اتفاقيات التعاون والشراكة ١٢١

المطلب الثاني: تنظيم المؤتمرات والندوات ١٢٢

المطلب الثالث: إصدار المجلات والدوريات ١٢٤

المطلب الرابع: إعداد الموسوعات والإصدارات المتسلسلة ١٢٥

المطلب الخامس: إلقاء المحاضرات ونشر الكتب والتعريف بها ١٢٦

المبحث الرابع: تضاؤل الدراسات المهتمة بالقرآن عند المستشرقين خلال هذه الفترة ١٢٩

المطلب الأول: انحسار أقسام الدراسات الشرقية ١٣٠

المطلب الثاني: غلبة الدراسات التاريخية والاجتماعية ١٣١

المطلب الثالث: انفراد المدرسة الاستشراقية الألمانية ١٣٤

المبحث الخامس: أشهر المستشرقين المهتمين بالدراسات القرآنية خلال هذه الفترة......... ١٣٧

المطلب الأول: أنجليكا نوريث "*Angélika Neuwrith*"........................ ١٣٧

المطلب الثاني: كلود جيليو "*Claude Gilliot*"................................ ١٤٠

المطلب الثالث: أندريه ريبان "*Andrew Rippin*"................................ ١٤٣

المطلب الرابع: سيرجيو نوصيدا "*Sergio Noseda*"................................ ١٤٤

خاتمة الدراسة.. ١٤٦

أهم المصادر والمراجع.. ١٤٨

فهرس الموضوعات.. ١٥١